# الفصل الخامس
# المناظر ومطعم الطير والمطرية والبساتين والضواحى ورباط الآثار

## أولا : المناظـــــــر

كانت المناظر من المتنـزهات الجميلة فى العصر المملوكى ، ومن هذه المناظـر ما استخدم استخداماً عاماً مثل مناظر الكبش ومنظرة التاج والخمس وجوه ، بالاضافة للكثير جداً من المناظر الخاصة الملحقة بالقصور والدور والبساتين الخاصة .

وإذا تكلمنا عن أصل فكرة المناظر نرى أنهـا قد استخدمت أولا فى الأغراض الحربية ، وقد اطلق عليها أيضـاً المراقب والطلائع ، وهذه المناظر كانـت عبارة عن أبراج حراسة حربية مبـنية فى الأماكن العالية المشرفـة على البحر ابتغاء رؤية المراكب المعادية قبل اقترابها من الساحـل ، والمناظر فى نفس الوقت وسـيلة اتصـال عـن طريـق إيقاد النيران بأعـلاها شأنها فى ذلـك شأن الفنارات بالـنسبة للملاحة البحرية . (١)

كما شاع لفظ المناظـر أيضا فى مصر والشام والعراق فى الاصطلاح المدنى مثـل المناظر التى كانت تعلو أبواب بغداد فى منتصف القرن الثانى الهـجرى والمناظر الفاطمية فى القرن الرابع الهجرى ، ولا يزال اللفظ مـستعملا فى ريفنـا المصرى فالمناظر (بالضـاد) هى الحجرات التى تتصـل بالخارج وتشرف على الشارع من الدور الأرضى . (٢)

كما ذكر "ياقوت الحموى" ان المنظرة عبارة عن موضع مشرف ينظر منه . (٣)

وقد أقام الفاطميون بمصر العديد من المناظر كانـت بمثابة متنزهات لهم وأماكن لإقامة الاحتفالات والمناسـبات العديدة ، وقـد أندثرت تلـك المناظر بانـتهاء دولتهـم ولكن الأماكـن التى كانت تحـويها استمرت مواضع هامة للتنزه فى العصرين المملوكـى والعثمانى ، وقد أعيد بناء واحدة منها فى العصر المملوكى هى منظرة الخمس وجوه .

وتلك المناظر ماهى الا قصور بعضها صغير الحجم والمـساحة وبعضها الآخر كبير استخدمت للتنزه والاحتفالات ، وكانت تقع فى مواقع هامة مميزة مثل الأماكن الخلوية بضواحى القاهرة وسط البـساتين

(١) محمد عبـدالهادى شعيرة ، "من تاريخ التـحصينات العربية فـى القرنين الأول والثانى الهجرى" بـحث فى كتاب دراسات فى الآثار الاسلامية ص١٢ .

(٢) نفسـه ص١١ .

(٣) معجم البلدان جـ٥ ص٢١٢ .

والمزدرعات مثل مناظر البعل والتاج والخمس وجوه وقبة الهواء ، كما كانت المناظر تقام على ضفاف النيل والخلجان والبرك مثل مناظر اللؤلؤة والغزالة ودار الذهب على الخليج ومناظر الدكة والمقس والصناعة ودار الملك ومنازل العز والهودج على النيل ومنظرة بركة الحبش ، وأيضا كانت المناظر تقام على هضاب استراتيجية عالية مثل الرصد والكبش حيث أقام الفاطميون العديد منها ، كما أقاموا المناظر بجوار أماكن دفاعية هامة مثل منظرة باب الفتوح حيث كان الخلفاء الفاطميون يستعرضون الجيوش الخارجة للغزو ، كما أقيمت المناظر فى أماكن دينية هامة مثل منظرة الجامع الأزهر حيث كان يجرى الاحتفال بليالى الوقود . (١)

وقد استعمل فى بناء المناظر الأحجار والآجر والأخشاب الجيدة وشبابيك النحاس والحديد ، كما تميزت بأنها كانت لها واجهات عديدة خالية ، وكانت حسنة وعالية البنيان ، كما كانت هناك مناظر عبارة عن أكشاك وجواسق خشبية مدهونه فيها طاقات تشرف على الخضرة والماء مثل منظرة بركة الحبش .

وقد جهزت المناظر بأفخر المفروشات والأثاثات والمتاع حتى تستعمل على مدار العام ، كما كانت على أكمل وجه من الزخرفة والزينة والبهاء .

هذا ويرجع للوزير الفاطمى " الأفضل بن أمير الجيوش " بناء العديد من تلك المناظر .

وقد شهدت المناظر والنواحى التى حولها أيام نزهات واحتفالات كبيرة لخاصة وعامة أهل القاهرة والضواحى ، واستطاع الخلفاء الفاطميون أن يستميلوا الناس لهم ولمذهبهم من خلال تلك المهرجانات والأعياد والمناسبات التى شهدت تلك المناظر العديد منها . (٢)

أما عن المناظر الكبيرة التى كانت موجودة زمن سلاطين المماليك فهى مناظر الكبش ومنظرة الخمس وجوه .

## مناظر الكبش على جبل يشكر

تقع مناظر الكبش على جبل يشكر ، وجبل يشكر - فى الواقع - هضبة وليس جبلا ، وهذه الهضبة هى التى بنيت عليها مدينة القطائع على يد أحمد بن طولون والتى بقى منها جامعه كبير (٣) ، وتلك الهضبة تتوسط المسافة بين القاهرة ومصر الفسطاط ، وقد سميت بهضبة يشكر نسبة الى أول

---

(١) عن هذه المناظر والاحتفالات بها انظر بالتفصيل : -
المقريزى ، الخطط ج١ ص٤٦٥ - ٤٩٠ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط ٤ سنة ١٩٨١م ، ص٦٣٤ .

(٣) عن مدينة القطائع بالتفصيل انظر : - محمود الحسينى ، التطور العمرانى لعواصم مصر الاسلامية (دكتوراه) .



obeikandl.com

قبيلة عربية اختطت بها مساكنها عند الفتح الاسلامى لمصر وهى قبيلة يشكر بن جديله بن لخم [١] .

وكانت هذه الهضبة تشرف من جهتها الشمالية على بركة الفيل ، ومن جهتها الغربية على بركة قارون ، ويتضح لنا مما ذكره "المقريزى" أن الجزء الشمالى الغربى للهضبة عليه الكبش وأن الجزء الجنوبى يسمى الشرف ، وكان هذا الشرف مشرف من غربية على جهة الخليج الكبير وهو يقع بين كوم الجارح وخط الجامع الطولونى [٢] ، وهو أحد هضاب ثلاثة تسمى كل منها باسم الشرف أحدهما الذى بنيت عليه قلعة الجبل والآخر الذى يطلق عليه الرصد وهو يمثل الجانب الغربى للقرافة الكبرى جنوبى مدينة الفسطاط .[٣]

## موقع مناظر الكبش وتاريخ انشائها

قال "المقريزى" عن موقعها وتاريخ انشائها : ـ " هذه المناظر آثارها الآن على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى مشرفة على البركة التى تعرف اليوم ببركة قارون عند الجسر الأعظم الفاصل بين بركة الفيل وبركة قارون ، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستمائة" [٤] .

وقد حدد الأستاذ "محمد رمزى" مكانها بقوله " إنها فى المنطقة التى تعرف بقلعة الكبش وتشرف من بحريها على شارع مراسينا ومنتزه الحوض المرصود ومن غربيها على حوش أيوب بك والبغالة وتنتهى من قبلى إلى درب الساقية وسكة المناظر ومن الشرق الى حارة النتايفة بقسم السيدة زينب بالقاهرة " [٥] .

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ١ ص ١٢٥ .

(٢) نفس المصدر والصفحة ، جـ٢ ص١٣٣ .

(٣) الخطط جـ١ ص ١٢٥ .

(٤) الخطط جـ٢ ص ١٣٣ .

* وقد ذكر المقريزى موقعها فى عدة مواضع اخرى ، فقال عندما تكلم عن ساحل النيل بمدينة مصر : ـ " وبآخر الحمراء القصوى الكبش وجبل يشكر وكان الكبش يشرف على النيل من غربيه " . الخطط جـ١ ص٣٤٤ .

كما ذكر موقعها فى كلامه عن الأمير سلار فقال "كان سلار صديقا للجاولى شديد المحبة له من قديم حتى ان كل منهما عمر مدرسته على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش مجاورة لمدرسة الآخر وعمل لنفسه مدفنا بحذاء مدفن الآخر " السلوك جـ٢ ص٢٤ .

كما ذكر موضعها عند كلامه عن المدرسة الجاولية فقال " هذه المدرسة بجوار الكبش فيما بين القاهرة ومصر " الخطط جـ٢ ص٣٩٨ .

وفى كلامه عن الكبش قال " هو جبل بجوار يشكر كان قديما يشرف على النيل من غربيه ثم لما اختط المسلمون مدينة الفسطاط بعد فتح أرض مصر صار الكبش من جملة الحراء القصوى وسمى الكبش " الخطط جـ١ ص١٢٥ .

(٥) محمد رمزى ، تعليقة على النجوم جـ٩ ص١٨٩ .

وقد ذكر "المقريزى" أن هذه المناظر وقت أنشائها كانت تشرف مباشرة على بركة الفيل من ناحية ومن ناحية أخرى على بركة قارون "وكان حيئنذ ليس على بركة الفيل بناء ولا فى المواضع التى فى بر الخليج الغربى من قنطرة السباع إلى المقس سوى البساتين وكانت الأرض التى من صلـيبة جامع ابن طولون إلى باب زويلة بساتين وكذلك الأرض التىّ من قناطر السباع الى باب مصر بجوار الكبارة ليس فيها إلا البساتين وهذه المناظر تشرف على ذلك كله من أعلى جبل يشكر وترى باب زويلة والقاهرة وترى باب مصر ومدينة مصر وترى قلعة الروضة وجزيرة الروضة وترى بحر النيل الأعظم وبر الجيزة فكانت من أجل متنزهات مصر " .[1]

وفى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون أمر بهدمها فى سنة ٧٢٣هـ وأعاد بناءها بناء آخر وأجرى الماء إليها وجدد بها عدة مواضع وزاد فى سعتها وأنشأ بها اصطبلا تربط فيه الخيول ، وهذه المناظر التى بناها الناصر محمد عبارة عن سبع قاعات بناها لأجل بناته ينزلون فيها للفرجة على ركوب السلطان للميدان الناصرى الكبير على النيل بأرض الخشاب [2].

واستمرت مناظر الكبش قائمة حتى هدمها الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٧٧ ـ ٧٧٨هـ) لما غضب على الأمير استدمر الذى كان ساكنا بها وقبض عليه ، وفى سنة ٧٩٥ هـ حكر الناس أرض الكبش وبنوا عليها بيوتهم واصطبلاتهم .[3]

## سكان وضيوف مناظر الكبش

اتخذت مناظر الكبش متنزها ملكيا ، وقد اتخذت فترة دار سكن للخلفاء العباسيين وفترة أخرى لسكن كبار الأمراء فى دولة المماليك ، وكانت كذلك دار ضيافة ينزل بها ضيوف السلطنة والرسل والقصاد وترتب لهم أمور ضيافتهم من مأكل ومشرب وملبس ونفقات .

وكان أول من سكن بها من الخلفاء العباسيين الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد الثانى أول خليفة عباسى بمصر حينما أحيا الظاهر بيبرس الخلافة فى سنة ٦٦١هـ بعد سقوطها ببغداد سنة

---

(١) الخطط جـ٢ ص ١٣٣ .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص ١٣٤ ، السلوك جـ٢ ص٥٤٠ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٨٩ .

(٣) تاريخ ابن قاضى شهبة ص٤٧٣ ، المقريزى ، السلوك جـ٣ ص٧٨٧ ، القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٣٦٣ .

٦٥٦هـ[١] ، وبالرغم من عودة الخلافة اسمية فقط إلا انها كانت ميزة لدولة المماليك لما للخلافة من تأثير روحى على المسلمين فى كل مكان ، ولما توفى الخليفة الحاكم فى سنة ٧٠١هـ بعد ان استمر فى الخلافة مدة اربعين سنة خلفة ابنه المستكفى بالله وأقام أيضا بمناظر الكبش [٢] .

أما كبار الأمراء فى دولة المماليك الذين حلوا محل الخلفاء فى سكن مناظر الكبش بعد انتقالهم للقلعة فأهمهم الأمير صرغتمش فى أيام السلطان الملك الناصر حسن ، وقد عمر صرغتمش الباب ذا البدنتين الحجر الذى يوصل إلى المناظر بجانب الكبش بالحدرة [٣] وكان هذا الباب موجوداً أيام المقريزى [٤] ، ثم سكن مناظر الكبش بعد ذلك الأمير يلبغا المعروف بالخاصكى وظل بها إلى أن قتل فى سنة ٧٦٨هـ فسكنها من بعده الأمير استدمر إلى أن قبض عليه الملك الاشرف شعبان وأمر بهدم الكبش فهدم ثم حكره الناس بعد ذلك وبنوا فيه مساكنهم واصطبلاتهم .[٥]

وكانت مناظر الكبش هى المكان الذى يستضاف فيه ملوك حماة الأيوبيين بالشام[٦] ، وأول من نزل منهم الملك المنصور وكان ذلك يوم ٦ محرم سنة ٦٧٣ هـ وصحبته أخوه الملك الأفضل نور الدين على بن الملك المظفر وولد الملك المنصور الملك المظفر تقى الدين محمود ، وقد احتفل السلطان الظاهر بيبرس بهم احتفالا كبيرا وأباح لهم ما لم يبحه لأحد من الأمراء والخواص من شرب للخمر وسماع ملاهى كما رتب لهم متنزهات فى ا لنيل والروضة [٧] .

---

(١) بيبرس الدوادار ، التحفة الملوكية ص١٤٩ ، ١٦٢ ، ابن حبيب ، تذكرة النبيه جـ١ ص١٩٥ ، المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٣ ، السلوك جـ١ ص٨٢٨ ، ابن ايبك ، كنز الدر جـ٩ ص ٧٩ ، ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ص١٩٥ ـ ١٩٦ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ص٣٢٠ ، السيوطى ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٦٢ .

* وقد ذكر بعض هؤلاء المؤرخين أن السلطان الظاهر بيبرس هو الذى أنزل الخليفة بالكبش بينما ذكر البعض الآخر أن السلطان لاجين هو الذى انزله .

(٢) توفى المستكفى سنة ٧٤٢هـ ، وقد سبق أن أبعده الناصر محمد مدة خمسة أشهر من الكبش وجعله بالقلعة سنة ٧٣٦هـ وذلك لغضبه عليه .

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص١١٥ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٤٧٢ .

(٣) نلاحظ ان هذه الحدرة التى كان عندها باب يؤدى إلى مناظر الكبش هى الدحديرة الموجودة إلى اليوم غرب جامع صرغتمش وجامع أبن طولون وتسمى الآن شارع الدحديرة .

(٤) الخطط جـ٢ ص ١٣٤ .

(٥) نفسه . ، تاريخ ابن قاضى شهبة ص ٤٧٣ .

(٦) أقطع صلاح الدين حماه لابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر وبقيت بيد أولاده حتى قيام الدولة المملوكية ، كانوا يخضعون أحيانا لسطوة التتار وأحيانا للمماليك حتى انتصر المماليك فخضعوا لهم وحكموا باسمهم وظلت بأيديهم حتى استولى المماليك عليها .

انظر ابن عبدالظاهر ، تشريف الايام والعصور ص٢٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ٧ ص١٦٦ ، هامش السلوك جـ١ ص٦١٤ .

(٧) ابن أيبك ، كنز الدرر جـ٨ ص١٧٦ ، المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٤ .

obeikandl.com

كما حضر الملك المنصور إلى مصر مرة ثانية ونزل بمناظر الكبش يوم ٨ جمادى الاولى سنة ٦٧٥هـ مهنئاً بزواج الملك السعيد بن السلطان بيبرس وقدم هدايا ثمينة . [١] وكذلك حضر يوم ٢٥شوال سنة ٦٧٨هـ أيام السلطان قلاوون [٢] كما حضر فى مستهل المحرم سنة ٦٨٢هـ فركب السلطان برقوق لتلقيه وأنزله بمناظر الكبش على عادته وأكرم وفادته وكل من معه [٣] .

وظل ملوك حلب الأيوبيين يأتون الى مصر ويقيمون اثناء ذلك بالكبش حتى استولى المماليك على حلب وأصبحت تحكم بواسطة ولاة من أمراء المماليك ، ومن الملوك الأيوبيين الذين نزلوا بمناظر الكبش الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل وكان قد نزل سنة ٧١٦هـ [٤] .

وكانت مناظر الكبش من أهم الأماكن التى يستضاف فيها الرسل والضيوف . ومن الرسل الذين نزلوا بها الصاحب المؤرخ كمال الدين عمر بن العديم (ت ٦٦٠هـ) رسول الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب يطلب النجدة من السلطان قطز لقتال التتار ، وكان ذلك فى ذى القعدة سنة ٦٥٧هـ [٥] .

ونزل بمناظر الكبش أيضا رسل الملك طقطاى ملك القبجاق الذين وصلوا الى مصر أول ربيع الاول سنة ٧٠٤هـ ، وقد أكرمهم السلطان الناصر محمد وأجرى لهم الرواتب وقدموا للسلطان هداياهم ، وقد جاءوا بكتاب يعرضون تحالفهم مع سلطان مصرضد أعدائهم ورد عليهم السلطان بهدية [٦] .

وفى سنة ٧١٣هـ جهز طقطاى سفارة كبيرة إلى مصر على رأسها رسول اسمه بكلمش بن قنجوبغا وكان قريبا للملك طقطاى وكان جليل القدر ، وقد أحسن السلطان الناصر محمد استقباله ، وكان بصحبته ثلاثمائة نفر منهم مماليك وجوارى قدموا هدية للسلطان ، وقد أنزلوا بمناظر الكبش ، وكان لهذه السفارات تأثير كبير فى تقوية أواصر الصداقة بين الملكين . [٧]

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص١٦٦ .

(٢) ابن عبدالظاهر ، تشريف الايام ص٥٨ (عن ابن الفرات) ، المقريزى ، السلوك جـ١ ص٦٦٨ .

(٣) بيبرس المنصورى ، زبدة الفكره ص ٢١٥ ، ا بن عبدالظاهر ، تشريف الايام ص٢٤ ، المقريزى ، السلوك جـ١ ص٧١٢ .

(٤) ابن حجر ، الدرر الكامنة جـ١ ص٣٧١ .

(٥) ابن تغرى ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٧٢ .

(٦) المقريزى ، السلوك جـ١ ص٨٠٢ ، جـ٢ ص٧ .

(٧) ابن ايبك ، كنز الدرر جـ٩ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .



Openkandil.com

وفى يوم ٢٦ ذى الحجة من نفس السنة (٧١٣هـ) وصلت سفارة من الملك يوزبك خان الذى جلس موضع الملك طقطاى وكانوا نحو مائة وأربعة وسبعين نفرا فأنزلوهم بمناظر الكبش ونزل صحبتهم رسل الملك الأشكرى [١] والمقصود به الملك اليزنظى .

كذلك كانت مناظر الكبش هى المكان المعد والمهيأ لاستقبال وإسكان أى عدد من الناس دون حدوث أى ارتباك ، ومن أمثلة ذلك انه فى سنة ٦٩٣هـ أنزل بمناظر الكبش نحو ثلاثمائة من مماليك الأشرف خليل بن قلاوون عندما قبض عليهم بعد قتل الملك الأشرف [٢] .

## زواج ابنة الملك الناصر محمد بالكبش

شهدت مناظر الكبش حفل زفاف ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون على ولد الأمير ارغون نائب السلطنة بمصر بعدما جهزها جهازاً عظيماً ندر أن يكون له مثال [٣] .

## منظرة الخمس وجوه

فى العصر الفاطمى كانت الأراضى شمال القاهرة عبارة عن بساتين وحقول متصلة ، وأقام الخلفاء الوزراء الفاطميون فى تلك البساتين والحقول أربع مناظر متجاورة متتابعة ترتيبها من الجنوب للشمال كالآتى: ١ـ منظرة البعل ٢ـ منظرة الخمس وجوه ٣ـ قبة الهواء ٤ـ منظرة التاج [٤] .

---

(١) المفضل بن أبى الفضائل ، النهج السديد جـ٢٠ ص٢٣٨ .

(٢) ابن عبدالظاهر ، تشريف الايام ص ٢٨١ ، بيبرس المنصورى ، التحفة الملوكية ص١٤١ .

(٣) قال المقريزى " .. جهزها جهازاً عظيماً منه بشخاناه ودايز بيت وستارات طرز ذلك بثمانين ألف مثقال ذهب مصرى سوى ما فيه من الحرير وأجره الصناع وعمل سائر الأوانى من ذهب وفضة فبلغت زنة الأوانى المذكورة ما ينيف على عشرة الآف مثقال من الذهب وتناهى فى هذا الجهاز وبالغ فى الانفاق عليه حتى خرج عن الحد فى الكثرة فإنها كانت أول بناته ولما نصب جهازها بالكبش نزل من قلعة الجبل وصعد الى الكبش وعاينه ورتبه بنفسه ، واهتم فى عمل العرس اهتماما ملوكيا وألزم الامراء بحضوره فلم يتأخر أحد منهم عن الحضور ونقط الأمراء الأغانى على مراتبهم من أربعمائة دينار كل أمير إلى مائتى دينار سوى الشقق الحرير ، واستمر الفرح ثلاثة أيام بلياليها فذكر الناس حينئذ أنه لم يعمل فيما سلف عرس أعظم منه حتى حصل لكل جوقة من جوق الاغانى اللاتى كن فيه خمسمائة دينار مصرية ومائة وخمسون شقة حرير وكان عدة جوق الأغانى التى قسم عليهن ثمان جوق من أغانى القاهرة سوى جوق الأغانى السلطانية وأغانى الأمراء وعدتهن عشرون جوقة لم يعرف ما حصل لهذه العشرين جوقة من كثرة ما حصل ولما انقضت أيام العرس أنعم السلطان لكل أمرأة من نساء الأمراء بتعبية قماش على مقدارها وخلع على سائر أرباب الوظائف من الأمراء والكتاب وغيرهم فكان مهما عظيما تجاوز المصروف فيه حد الكثرة " الخطط جـ٢ ص١٣٤ .

(٤) استطعت ترتيب مواقع تلك البساتين وما تضمه من مناظر من خلال ما ذكره المقريزى عنها ، فقد ذكر عن "منظرة البعل" أنها " كانت فى بستان أنيق يعرف بالبعل أنشأه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وموضع هذا البستان =

وتلك البساتين والحقول وما تضم من مناظر يمثل موضعها الآن أجزاء متتالية مرتبة من الجنوب للشمال من أحياء غمره فالشرابية فمهمشا.

ويرجع انشاء منظرة الخمس وجوه للأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش [1] وبقى من آثارها الفاطمية بناء رآه المقريزى" [2] .

وقد سميت المنظرة بهذا الاسم لأنها أقيمت على بئر متسعة كان بها خمس أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف البديع الزى البهيج الهيئة المحيط بها ، وقد أطلق عليها العامة فى العصر المملوكى السبع وجوه [3] ربما تيمنا بالرقم سبعة الذى له اعتبار كبير فى التراث الشعبى .

ويذكر "ابن تغرى بردى" أن بعض كتاب الخطط اعتقد خطأ أن منظرة التاج هى منظرة الخمس

---

= إلى اليوم يعرف بالبعل وصارت أرضه مزرعة فى جانب الخليج الغربى بحرى أرض الطبالة فى كوم الريش مقابل قناطر الأوز وقد خرجت المنظرة وبقى منها آثار أدركتها يعطن بها الكتان تدل على عظمتها وجلالتها فى حال عمارتها .. "الخطط جـ١ ص٤٨٠ ـ ٤٨١ .

وقال أيضا فى "ذكر أرض البعل والتاج" ... وأرض البعل هذه بجانب الخليج تتصل بأرض الطبالة كانت بستانا يعرف بالبعل وفيه منظرة انشأه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وجعل على هذا البستان سورا وإلى جانب بستان البعل هذا بستان التاج وبستان الخمس وجوه .. وأرض البعل فى هذا الوقت مزرعة تجاه قنطرة الأوز التى على الخليج يخرج الناس للتنزه هناك أيام النيل وأيام الربيع وكذلك أرض التاج فإنها اليوم قد زالت منها الأشجار واستقرت فى أراضى المنية الخراجية .. " الخطط جـ٢ ص١٢٩ .

وقال عن "منظرة التاج" " هى من جملة المناظر التى كانت الخلفاء تنزلها للنزهة بناها الأفضل بن أمير الجيوش وكان لها فرش معد لها للشتاء والصيف وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم توجد تحته الحجارة الكبار وما حول هذا الكوم صار مزارع من جملة أراضى منية السيرج . قال ابن عبدالظاهر " وأما التاج فكان حوله البساتين عدة وأعظم ما كان حوله قبه الهواء وبعدها الخمس وجوه التى هى باقية " الخطط جـ١ ٤٨١ .

وقال عن " قبة الهواء" " وكان من أحسن متنزهات الخلفاء الفاطميين قبة الهواء وهى مستشرف بهيج بديع فيما بين التاج والخمس وجوه يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم ولهذه القبة فرش معدة فى الشتاء والصيف ويركب إليها الخليفة فى أيام الركوبات التى هى يوم السبت والثلاثاء " الخطط جـ١ ص ٤٨٧ .

* وقد ذكر المرحوم على باشا مبارك تلك المناظر وإن لم يكن قد راعى الترتيب الجغرافى لها ، وذكر أن تلال أحجارها ظلت موجودة حتى أيامه ، انظر : ـ الخطط التوفيقية جـ١ ص٥٥ ، جـ٢ ص٦٥ ـ ٦٦ .

* وكذلك ذكرها المرحوم محمد رمزى باعتبار أنها كانت معظم الأوقات تحسب من ضمن نواحى وضواحى القاهرة الواجب عليها الخراج . انظر : ـ القاموس الجغرافى ق١ ص١٥ ، ١٦ ، ٥٥ ، ٥٦ ، تعليقة على النجوم الزاهرة جـ١ ص١٢٤ .، مذكرة ببيان الأغلاط التى وقعت من مصلحة التنظيم فى تسمية الشوارع والطرق بمدينة القاهرة وضواحيها .

(١) الخطط جـ٢ ص٤٨١ .، اتعاظ الحنفا جـ٣ ص٧٤ .

(٢) الخطط جـ٢ ص٤٨١ .

(٣) نفسه . ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى جـ٥ ص١٩٢ .

وجوه ولكنه يصحح ذلك الخطأ ويذكر أن التاج كان بـالقرب من الخمس وجوه على بعد مقدار رميتى نشاب وكان كوما فى أيامه إلا ان اسم التاج والخمس وجوه صار علما على تلك المنطقة [١] .

وموقع منظرة الخمس وجوه الآن فى حى الشرابيـة فى المنطقة المحصورة بين شارع الألايلى وشارع الشرابية .

## عمارة المنظرة فى العصر المملوكى

أعاد بناء منظرة الخمس وجوه السلطان الملك المؤيد شـيخ الذى كان محبا للمتنزهات والمفترجات مقضيا أغلب أوقاته بها ، وكان دائم الذهاب الى تلك المنـطقة لذا أمر بتجديدها وتعميرها وترك التاج خرابا ، وكان الابتداء فيها فى يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ٨٢٣هـ [٢] ، وظل المؤيد يـتابع بنائها فذهب عدة مرات حتى اكتملت فى شعبان سنة ٨٢٣هـ برواية ابن تغرى بردى [٣] أو فى شـهر شوال براوية المقريزى [٤] ، وكانت قد تكلفت أكثر من عشرين ألف دينار .

وقد أراد المؤيد ان يعمر المنـطقة حولها وأن يقيم بستانا كبيرا ، وطـلب من أمراء وأعيان دولته أن يبنوا حولـها بيوتا ينزلون بهـا إذا توجهوا فى ركابة السـلطانى فشرع بعضهم فـعلا فى رمى الأساس واختط بعضهم الأرض ولكن القدر لم يمهل المؤيد وقتا ليتم ويرى ما كان يرجوه ، وكان غرض المؤيد لإنشاء المنظرة والبسـتان أن يجعل ذلك عوضا عن قصور سرياقوس ليسرح إليهـا مثلما كان السلاطين السابقون يسرحون لسرياقوس . [٥]

وفى ربيع الآخر سنـة ٨٢٥هـ أيام السلطان الملك الأشرف برسـباى (٨٢٥ ـ٨٤١هـ) وقع الشروع فى هدم المنظرة ولكن ذلك الأمر لم يتـم فبقى بناؤها مشعـا [٦] إلا أنها رممت عقب ذلـك فأسكنها

---

(١) المنهل الصافى جـ٥ ص١٩٢ .

(٢) المقريزى ، الخـطط جـ١ ص٤٨١ ، السـلوك جـ٤ ص٥٢٦ ، ابن حـجر ، انباء الغمر جـ٣ ص٢١٧ ، ابن تغرى بردى ، النـجوم جـ١٤ ص٩٤ ، العـينى ، عقـد الجمان (نشـر الزهراء) ص١٠٨ ، نفـس المصدر (بدون نـاشر) ص٣٨١ ، الصيرفى ، نزهة النفوس جـ٢ ص٤٧٣ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٢ ص٤٣ .

(٣) النجوم الزهرة جـ١٤ ص١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٤) السـلوك جـ٤ ص٥٣٨ .

(٥) السـخاوى ، تحفة الاحباب ص٢٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٦) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص٦١٠ .

برسباى لـلشيخ حيدر الـرفاعى [1] وأخوته ، وأنعم علـيه برزقه عشرين فدانا بأراضى تـلك الناحية وجعلت زاوية للصوفية ، وعرف الشيخ حيدر منذ أن سكنها بشيخ التاج والسبع وجوه [2] .

واستمرت المـنظرة قائمة متنـزها كبيرا يفد عـليها الناس للـفرجة ولزيارة الشيخ الـرفاعى ، وكان المؤرخ "ابن تغرى بردى" دائـم النزول بها والمبيت بها أيامـا عديدة وقضى بها أوقاتا طيـبة فى ضيافة الشيخ حيدر . [3]

ولكن فى سلـطنة الظاهر جقمق (٨٤٢ـ ٨٥٧هـ) تم هـدم المنظرة حيث أمر جقمق بـهدمها حين أوحى إليه شخـص يسمى محمد بن عـلى بن اينال بأن هذا المكان يـقع فيه الكثير مـن الفواحش من المتنزهين والمتفرجين ، وباشر ذلك الرجل هدم المنظرة فى شوال سنة ٨٤٨هـ وأخذ جميع ما كان هناك من الأخشاب والشبابيك النحاس والحجر والآجر ودام أشهر فى هدمها وباع من أنقاضها الكثير . [4]

وصعب ذلـك الهدم علـى الناس قاطـبة ، وذكر المؤرخ "ابـن تغرى بردى" أنـه لاصحة لتـلك الادعاءات الباطلة لأن هذا المكان من أحسن أبنية مصر وأنزهها ، وأنه قد صار متنزها ذات صفة دينية صوفية منذ إقامة الشـيخ حيدر به ، وقد ندم السلطان جقمق على هدم المـنظرة بعد أن تبين له كذب ادعاءات ابن ايـنال هذا ، فأمر بالـقبض عليه ، وعـوض الشيخ حيدر بـأن أسكنه بالقـرب من زاوية الشيخ أحمد الرفاعى ثم أنعم عليه بمشيخة قبة النصر . [5]

## التنزة بالتاج والخمس وجوه

كانت منطقة البعل والتاج كما ذكرت ضواحى تقـع شمال القاهرة وكانت تمثل بما تضم من مناظر واحدة من محاسن مصر ومفترجاتها ، وكانت تحـوى الكثير من البساتين والحقول ذات المناظر الأخاذة بما تزرع بـها من زراعات تسـر الناظرين مـن رؤية هذه الخضرة الـكبيرة الممـتدة بزراعة نبـات القرط

---

(١) هو الشيخ حيدر بن أحمـد بن ابراهيم أبو الحسن الرفاعى الرومى الأصل ، العجمـى المولد والمنشأ ، المصرى الدار والوفاة الحنـفى القدوة والمسلك ، ولد حـوالى سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م ومات سنـة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م ، وكان من أعلام الصوفـية ومن أهل العلم والأدب ، والأخـلاق الحميدة . أنظر : ـ ابـن تغرى بردى ، المنهل الـصافى جـ٥ ص١٨٩ ـ ١٩٥ .

(٢) نفسه ص١٩٢ .

(٣) المنهل الصافى جـ٥ ص١٩١ .

(٤) كان محمد بن على بن اينـال هذا يعتريه جنون وخفة عقل وعمل مساوىء كثيرة ، وكان يـشغل منصب أمير شكار (امير صيد) فى عهد الـظاهر جقمق ، ولما هدم المنظرة شكته خـوند ابنه المؤيد شيخ فأمر جقمق بتـرسيمه والقبض عليه فهـرب فترة ثم ظهر بعد ذلـك بمدة ولزم داره . انظر :ـ ابن تغرى بـردى ، حوادث الدهور جـ٢ ص٢١٦ ـ ٢١٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق ١ ص٦١ .

(٥) المنهل الصافى جـ٥ ص١٩٤ .

(البرسيم) والكتان والبشنين وما يحيط بها من الأشجار والنخيل . وفى زمن الربيع وفى أيام النيل يتنزه بها خاصة وعامة أهل القاهرة منذ العصر الفاطمى [١] .

ولما أقام "المؤيد شيخ" بناء المنظرة كان كثير التنزه إليها هو وامرائه بل إنه سمح لعامة أهل مصر والقاهرة بمصاحبة موكبة فى تنزهاته ، وكان الناس يقيمون الخيام للإقامة هناك ، وكان المؤيد يبيت عدة ليالى فى منظرة الخمس وجوه وكانت الناس تتردد إليه لقضاء حوائجهم وللفرجة أيضا [٢] ، وفى ذلك الوقت أقام الأمير جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص عمائر هائلة وسبيلا ومكتبا وبستانا وغير ذلك فى التاج [٣] فكثر تردد الناس الى هناك .

واستمر التاج والخمس وجوه متنزها للسلاطين والناس حتى أن الملك الأشرف برسباى لما ذهب إليه يوم ١١ صفر ٨٢٨هـ أعجبه المكان جدا ولم يكن قد رآه من قبل [٤] وكثر تردد الزوار للمنطقة وخصوصا بعد إقامة الشيخ حيدر الرفاعى بالمنظرة .

هذا وقد شهدت منظرة الخمس وجوه احتفالا كبيرا فى شعبان سنة ٨٤٢هـ وذلك بمناسبة انتهاء قاضى القضاة " بن حجر العسقلانى" من تأليف كتابة فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ففضل الاحتفال بذلك المؤلف الجليل بأعلى منظرة الخمس وجوه ، فأقام وليمة حافلة حضرها المقر الناصرى محمد بن السلطان برسباى وأعيان الدولة وأمرائها وقضاها وعلمائها وطلابها وكثير جدا من الناس ، ومدت هناك وليمة حافلة تحوى أطعمة فاخرة ومد سماط فاكهة وحلوى وسكر ، وكان الوقت شتاءا والأرض مخضرة بأنواع الزراعات ، وقد اجتمع يومها بالمنظرة وحولها عالم كبير جدا من الرجال ونصب هناك سوق وضربت خيام عديدة فكانت من الأيام المذكورة المشهودة وأنفقت فيها أموال وأنشد الكثير من الشعراء بهذه ا لمناسبة . [٥]

وقد استمرت المنظرة على حالها حتى تم هدمها فى عهد الظاهر جقمق ولكن المنطقة ظلت متنزها هاما طوال العصرين المملوكى والعثمانى .

## ماقيل فى التاج والخمس وجوه :

أفاض الكثير من الشعراء والزجالين فى وصف التاج والخمس وجوه ومايحيط بها من مناظر خلابة . فقال فيها حجة :ـ

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ١ ص٤٨١ .

(٢) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص٥٢٨ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ـ ٥٤١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص١٠٣ .

(٤) المقريزى ، السلوك جـ١ ص٦٧٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص٢٧١ ، العينى ، عقد الجمان (نشر الزهراء) ص ٢٥٤ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٢ ص٩٥ .

(٥) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص١١٠٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٢ ص ٢٠٧ .

سبع وجوه لتاج مصر تقول ما فى الوجود شبهى
وعندنا ذو الوجوه يهجى وأنت تاج بفرد وجه

وفيه يقول الصاحب فخر الدين بن مكانس من موشح :-

والتاج يعلو فوق هام الزهر والسبعة الأوجة ذات البشر
وكل وجهة حولها كقصرى مثل بروج حل فيها بدر

وقد أتى فى كل برج سعد

ولبعضهم :-

محاسن مصر تبدو حين تجلى بتاج زانه درر وقرط
وقد كتب الربيع بها سطورا وأتقن خطها شكل ونقط

وللعقيلى: -

الروض من أنهاره وبهاره فى المصمت الفضى والديباج
تعلو رعيته ملوك غصونه هذا بإكليل وذاك بتاج [1]

## ثانيا : مطعم الطير بالريدانية

ذكر المقريزى أن الريدانية اسم لأرض اطلقت على بستان كبير انشأه ريدان الصقلى أحد خدام الخليفة الفاطمى العزيز بالله الذى كان يحمل المظلة على رأس الخليفة واختص بالخليفة الحاكم بأمر الله أن قتله الحاكم فى يوم الثلاثاء ٢٠ ذى الحجة سنة ٣٩٣هـ [2]

والريدانية كانت تقع فى حدود الصحراء الواقعة فى شمال القاهرة وكان العمران ينتهى إليها لذا فقد أطلق اسم الريدانية على البستان وعلى ما جاوره من الأراضى الرملية الفضاء التى كانت تمتد فى ذلك الوقت من حد باب الحسينية حيث ميدان عبده باشا الآن وبين الصحراء التى فيها الآن ميدان

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٦١ ـ ٦٢ .
(٢) الخطط جـ٢ ص١٣٩ .



obeikandl.com

روكسى بمصر الجديدة ويؤيد ذلك ما ورد فى كتب المؤرخين وما حدث فى هذه المنطقة من وقائع ومعارك بين المماليك والعثمانيين ، ويدخل فى حدود الريدانية الآن الوايلى الصغير والعباسية وثكنات الجيش الواقعة على جانبى شارع الخليفة المأمون ومنشية البكرى ومصر الجديدة ، وحتى منتصف هذا القرن كانت أرض الوايلى الصغير أرضا زراعية فى المنطقة الواقعة الآن على جانبى شارع بين الجنائن وشارع أحمد سعيد بالعباسية بالقاهرة . [١]

## مطعم الطير :

كان مطعم الطير متنزها سلطانيا ، وكان موقعة فريدا حيث يتوسط مكانا بين أرض صحراوية وأرض زراعية وقد بنى الناصر محمد هناك مسطبة ، ويمثل موقع مطعم الطير المنطقة التى يتوسطها الآن قبة العادل طومان باى [٢] (اثر رقم ٢) الواقعة فى ثكنات الجيش شمال العباسية حيث كانت المسطبة بجوار القبة .

## التنزه والصيد واستقبال الرسل والضيوف عند مطعم الطير :

لما كان موضع مطعم الطير فريدا حيث يتوسط حدود الصحراء والزراعات كانت تلك البيئة تكثر بها الحيوانات والطيور البرية الشاردة ، لذلك حرص سلاطين المماليك على الذهاب لتلك المنطقة للاستمتاع بجوها النقى وخصوصا وأنهم كانوا يذهبون إليها فى بداية موسم الشتاء غالبا للصيد والرياضة والاستجمام فى ربوعها ، وكانوا يخرجون فى مواكب الى هناك مجهزة باللازم ، ويصحبون معهم أرباب الوظائف المتعلقة بالصيد على رأسهم أمير شكار والبازدارية والحيوانات المدربة للصيد مثل الصقور والحيوانات والطيور التى يراد اصطيادها مثل الكراكى حيث يطلقها أمير شكار ويطلق وراءها الطيور الجارحة لاصطيادها [٣] حتى يتسلى السلطان برؤية هذا المنظر [٤] .

وكانت تلك الأيام بمثابة مهرجانات وأعياد شعبية إذ تزين القاهرة فى طريق الذهاب والعودة ويمتلأ طريق الموكب من القلعة حتى الريدانية بالمتفرجين .

ولما كان موضع مطعم الطير يمثل البوابة الشمالية للقاهرة أيضا لذا حرص السلاطين على استقبال

---

(١) محمد رمزى ، تعليقاته على النجوم الزاهرة جـ٩ ص٩ ، جـ١٠ ص ١٧١ .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، جـ٥ ص٤٣٢ .

(٣) عن مواكب الرحات والصيد والاسفار انظر :ـ عبدالمنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك جـ٢ ص١٣٣ ـ ١٣٧ .

(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم جـ٩ ص٢٩ ، حوادث الدهور جـ٣ ص٤١٦ ، ٤٨٤ .

ضيوفهم هناك بأنفسهم أو بواسطة مندوبين عنهم .

ومن السلاطين الذين داوموا على التنزه بمطعم الطير الناصر محمد بن قلاون [١] وابنه الصالح اسماعيل (٧٤٣ ـ ٧٤٦هـ) [٢] ، وكذلك كان الظاهر برقوق كثير الذهاب لمطعم الطير منذ كان أمير حتى تسلطن [٣] ، وعند مطعم الطير استقبل الظاهر برقوق ضيفه الكبير السلطان أحمد بن أويس [٤] سلطان العراق وفارس طالبا النجدة من سلطان مصر للوقوف فى وجه تيمور لنك ، وقد وصل إلى مطعم الطير فى يوم الثلاثاء ٢٧ ربيع الأول سنة ٧٩٦هـ وأجرى له مراسم استقبال رسمية كالتى تجرى فى هذه الأيام حيث قام حاجب ا لحجاب بتقديم أمراء الدولة وأعيانها للسلطان أحمد وسلموا عليه ، ثم استقبله السلطان برقوق وعانقة وطيب خاطره ووعده بمساعدته فى استرداد كرسى مملكته من تيمور لنك ، واستراح برقوق وضيفه فترة على المسطبة وخلع برقوق عليه قباء حرير بنفسجى بطراز عريض زركش وقدم له فرسا من أفراسه بسرج ذهب وكنبوش زركش وسلسلة ذهب ، وركبا وسارا وحولهما الأمراء والمماليك مرتبين حسب منازلهم ووظائفهم فى وسط مهرجان شعبى كبير إذ خرج الناس كلهم إلى الريدانية والصحراء التى امتلأت بهم مما أدهش وتعجب له السلطان أحمد من كثرة المتفرجين وواصل الموكب الى القلعة . [٥]

ومن السلاطين الذين كانوا ينزلون لمطعم الطير للصيد والنزهة السلطان المؤيد شيخ الذى اهتم بذلك اهتماما كبيرا [٦] .

وكان السلطان الأشرف برسباى (٨٢٥ ـ ٨٤١هـ) يداوم على النزول لمطعم الطير وغالبا فى بداية فصل الشتاء حيث يرتدى السلطان والأمراء الملابس الصوفية المعدة لذلك [٧].

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهره جـ٩ ص٢٩ . (٢) المقريزى ، السلوك جـ٢ ص٦٧٩ .

(٣) نفسه جـ٣ ص٣٦٥ ، ٧٢٦ ، ٧٨٩ ، تاريخ ابن الفرات مجلد ٩ جـ١ ص٢٣٥ .

(٤) هو السلطان غياث الدين أحمد بن أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن ايلكان صاحب بغداد وتبريز وغيرها من بلاد العراق ، ملك بعد أخيه فى سنة ٧٨٤هـ واستمر ملكا على العراق حتى سنة ٧٩٥هـ حيث خرج فارا من تيمور لنك لما استولى على بغداد ، وقصد مصر ومعه ٤٠٠ فارس من أصحابه ولما وصل إلى حلب أرسل واليها إلى السلطان بذلك فأمر السلطان برقوق بإكرامه ودعاه للقاهرة ، وظل فى صراع على الحكم بالعراق وفارس حتى قتل سنة ٨١٣هـ وقد وصفه المؤرخون بأنه كان سفاكا للدماء وظالما ، وله بعض الاهتمام بالعلم والأدب . أنظر :ـ ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى جـ١ ص٢٤٨ـ ٢٥٩ .

(٥) عن هذا الموضوع بالتفصيل أنظر :ـ

تاريخ ابن قاضى شهبة ص٥٠٤ ـ ٥٠٥ ، تاريخ ابن الفرات مجلد ٩ جـ٢ ص٣٦٦ ، المقريزى السلوك جـ٣ ص٨٠٠ ، ابن حجر ، انباء العمر جـ١ ص٧٩٦ ، ابن الصيرفى ، نزهة النفوس والابدان جـ١ ص٣٧٥ ـ ٣٧٧ .

(٦) العينى ، عقد الجمان (بدون ناشر) ص١٧٤ .

(٧) المقريزى، السلوك جـ٤، ص ٦٢٢.

وكان السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧هـ) يستقبل أمراء الشام عند مطعم الطير ويحتفل بهم احتفالا كبيرا وكذلك كان يستقبل أمراء مكة والحجاز وعلى رأسهم الأمير الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة الذى كان يبالغ فى إكرامه . (١)

وكان السلطان الأشرف اينال (٨٥٧ ـ ٨٦٥هـ) ينزل للتنزه والصيد عند مطعم الطير ويمد هناك الاسمطة الحافلة وكانت مواكبة من المواكب الهائلة ويخرج معظم الناس للفرجة . (٢)

ومثل تلك المهرجانات الشعبية تكررت فى أيام السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥ ـ ٨٧٢هـ) . (٣)

وكان السلطان الغورى كثير التردد على مطعم الطير للتنزه والصيد بالإضافة لاستخدام المكان هناك لعمل التجارب على المدافع التى صنعت أيامه وكان أهل القاهرة وظواهرها يخرجون جميعا تلك الأيام للفرجة . (٤)

وفى العصر العثمانى ظل الولاة يذهبون إلى مطعم الطير وخصوصا لمجاورته للمنشآت المعمارية العديدة التى أنشأها السلطان العادل طومان باى سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م التى أهمها القبة التى كانوا يبيتون بها أوقاتا عديدة . (٥) وقد عرفت المنطقة منذ ذلك الوقت بالعادلية وتمتعت بمكانة مرموقة فى العصر العثمانى حيث كان الولاة العثمانيين ينزلون بها وكانت محطة واستراحة لهم فى ذهابهم وإيابهم ، كما كانت محطة استقبال للمسافرين والعائدين بطريق البر وكانت مركزا تجاريا هاما حيث كان هناك خان يسمى خان العادل يجتمع به المسافرون من قوافل التجارة والحج ، وظلت المنطقة متنزها حيث كانت الفرق العثمانية تلعب هناك القبق . (٦)

---

(١) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص١٢٢٦ ، السخاوى ، التر المسبوك ص١٥ ، ٧٥ ، ١٨٤ ، العينى ، عقد الجمان (نش الزهراء) ص١٠٦ .

(٢) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور جـ٢ ص٢٨٠ .

(٣) نفسه جـ٣ ص٤١٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٨٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٩ ، ٥٣٠ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٨٤ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٥ ص٤٣٢ .

* بنى السلطان الملك العادل طومان باى التى تولى السلطنة عدة شهور سنة ٩٠٦هـ تربة بجوار مطعم الطير وهذه التربة كانت تتكون من عدة وحدات معمارية هى القبة التى دفن بها ومسجد الذى استخدم أيضا كخانقاه وسبيل وساقية ومطبخ بالاضافة لوجود خان وعدة منشآت أخرى لم يتبق منها سوى هذه القبة الجليلة (اثر رقم ٢) .

انظر التفصيل : ـ محمد حمزه ، قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، ماجستير غير منشورة ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة . ص١٥٠ ـ ١٥٢ .

(٦) البكرى ، قطف الازهار (مخطوط) ورقة ١٣٩ .

## ثالثا: المطرية ونواحيها

كانت المطرية ونواحيها من أنزه الأماكن بمصر فى العصرين المملوكى والعثمانى ، وكان التنزه والذهاب إليها وإلى نواحيها،من شعائر السلطنة المملوكية كما كان من شعائر الفاطميين .

وقد كانت المنطقة جديرة بمكانتها المرموقة لأن مساحتها الكبيرة الممتدة من حدائق القبة جنوبا حتى عين شمس شمالا كانت عبارة عن بساتين وحقول زراعية ويجرى بأرضها البرك والترع والخلجان وأهمها خليج الزعفران . (١) الذى كان متنزها سلطانيا ، إلى جانب شهرتها العالمية بما حوته من مقدسات ورموز مسيحية مثل شجرة مريم (٢) وبئر وبستان البلسان وكنيسة العذراء بالإضافة لذلك فإنها محطة واستراحة الذاهبين والعائدين من وإلى الشام وسيناء ، ومكان استقبال للرسل والضيوف.

وقد ذكر الرحالة أن الطريق من القاهرة إلى المطرية كان مليئا بالقصور الفخمة والاستراحات الجميلة على الجانبين التى تمثل دور ضيافة خاصة بكبار الأمراء . (٣)

---

(١) عن خليج الزعفران انظر ما سبق ص٣١٣ .

(٢) نسبت هذه الشجرة الى مريم العذراء حيث تروى القصص أن العائلة المقدسة لما هربت من حاكم فلسطين الرومانى هيرود ووصلت أون "عين شمس" استراحت تحت ظل هذه الشجرة القديمة المورقة ومن ذلك الوقت عرفت بشجرة مريم ، وتضيف الأسطورة أن الطفل يسوع الناصرى "عيسى عليه السلام" جلس تحت هذه الشجرة وضرب الأرض بقدمه فانفجرت عين من المياه العذبه المنعشة فشربت مريم وطفلها ويوسف النجار وحمارهم حتى ارتووا ، ثم غسلت العذراء ملابس طفلها بمياه هذه العين ثم ألقت بالمياه المتخلفه على عصا يوسف التى كان قد غرسها فى الأرض فتحولت إلى شجرة البلسم المعروفة أيضا باسم البلسان ، ثم أينعت هذه الشجرة وفاحت منها رائحة ذكية ، ولما نمت زراعة البلسان وغدا عصيره ناجعا لجميع الجروح وللأمراض الجلدية المستعصية أصبح البلسان موضع رعاية وعناية الحكومة والناس . انظر :- سعاد ماهر ، مساجد مصر جـ٥ ص٤٠ . Savary, Lettres Sur L'Egypte Paris 1786, I P. 127.

الهام ذهنى ، مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة تاريخ المصريين (١٩٢٢م) ص٢١٦ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص٢٠٧ . Breydenbac, Les Saintes Peregrinations (1483) ed F. Larrivaz Cairo 1904. P.45.

Von Harff, The Pilgrimage of Arnold Von Harff, Trans, Malcolm Letts, London, 1964. P. 109.

Abouseif (D), The North eastern Extension of Cairo Under the Mamluks" Ann Isl T.XVII (1981) P. 153.

Fabri, Le Voyage en Egypte, IFAO 1975 PP.526 F.,906.



obeikandl.com

وقد حرص الرحالة العرب والأجانب على زيارة المطرية خلال رحلاتهم إلى مصر وذلك لشهرة شجر البلسان بها الذى يستخرج منه دهن البلسم الذى لا مثيل لجودته فى جميع أنحاء العالم . (١)

وترجع أهمية البلسان للاستخدام الكهنوتى والطبى له فى الاقطار المسيحية فقد قال "المقريزى" وللملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم يتهادونه من صاحب مصر ويرون أنهم لا يصح عندهم لأحد أن يتنصر إلا أن ينغمس فى ماء المعمودية ويعتقدون أنه لا بد أن يكون فى ماء المعمودية شىء من دهن البلسان ويسمونه الميرون " (٢) وقال "ابن اياس" "أيضا" إن ملوك الافرنج تتغالى فى دهن هذا البلسم ويشترون بثقله ذهبا ولا يتم عندهم التنصير حتى يضعون من دهنه شيئا فى ماء المعمودية وينغمسون فيه" (٣) لذلك كان يحتكر التجارة فيه سلاطين المماليك فقط . (٤)

وقد انقطعت زراعته فى مصر فى أوائل القرن العاشر الهجرى (فى سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م بالتحديد) ، ويرجع ذلك إلى إتلاف أشجاره بسبب الحرب بين طوائف المماليك عقب وفاة السلطان قايتباى كما ذكر ذلك الرحالة الألمانى فون هارف الذى زار مصر فى أيام الناصر محمد بن قايتباى . (٥)

ولما انقطعت زريعته من أرض المطرية تنكد السلطان الغورى بسبب ذلك لأن مصر كان تفخر بزراعته على سائر البلاد ويعتبر أحد خصائصها ومفترجاتها . (٦)

"ولا يزال الغورى يتفحص أمره حتى أحضر إليه بلسان برى من بعض الأماكن بالحجاز وهو فى طينه فزرعة بالمطرية فى مكانه المشهور به فنتج و طلع لما سقى من ماء تلك البئر التى هناك فنتج فى هذه السنة وطلع ما كان قد بطل أمره فعد ذلك من محاسن الملك الأشرف قانصور الغورى " . (٧)

---

(١) عن الكلام عن البلسم وكيفية استخراجة وخصائصة أنظر: -
ابن حوقل ، صورة الأرض (ط ليدن ١٩٣٨م) ص ١٦٠- ١٦١ ، ناصر خسرو ، سفرنامه ص٥٥- ٦٠ ، الأدريسى، نزهة المشتاق ص٣٢٦ ، عبداللطيف البغدادى ، الإفادة والاعتبار ص٢٢ ، ٤١ ، الهروى ، الاشارات إلى معرفة الزيارات (ط دمشق ١٩٥٣م) ص٣٤ ، المقريزى ، الخطط جـ١ ص٢٣٠- ٢٣١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٥٧ ، جـ٤ ص١٤٩، القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٢٨٧

(٢) الخطط جـ١ ص٢٣٠ .

(٣) بدائع الزهور جـ٤ ص١٤٩ .

(٤) Abouseif, Op. Cit., P. 160.

(٥) IBID.

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص١٤٩ ، ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ص١٣٣ ، القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٢٨٧ .

(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ص١٤٩ .

وكانت المطرية تتنقل فى تبعيتها من ولاية لأخرى من وقت لآخر فكانت أولا تعد من ضواحى مصر ثم تبعت الشرقية وأحيانا القليوبية [١] إلا أنها فى العصر المملوكى وردت فى الوثائق والمصادر أنها من ضواحى القاهرة . [٢]

وكانت تدخل فى العصر المملوكى فى إقطّاع الأمراء الكبار وأحيانا يستخلصها السلاطين لأنفسهم وأحيانا تكون أرضها أملاك وأوقاف . [٣]

ولما كانت المطرية عامرة بالبساتين المثمرة لذا حرص بعض السلاطين أن يكون لهم بساتين بها فعلى سبيل المثال ورد بوثيقة المؤيد شيخ أنه كان له بستان يشتمل على سياج مبنى بالبلسان وغير ذلك وماهو من حقوقه من أبنية ومنظرة وآبار وسواقى وأنشاب مختلفة" .[٤]

وكان للأشـــرف قانصور الغورى ثلاث قطع أرض متجاورات بالمطرية وقفها على بعض عمائره . [٥]

ولا تزال بقايا شجرة مريم موجودة للآن وبجوارها البئر والكنيسة المجاورة لها ، وحتى منتصف هذا القرن كان حول الكنيسة بستان كبير فى محل بستان البلسان إلا إنه ضاع فى ظل التعديات المستمرة على الآثار .

ويمثل موقع المطرية وجهاتها الآن احياء القبة والزيتون والمطرية وعين شمس وشرقها العباسية ومصر الجديدة وغربها الزاوية الحمراء والأميرية .

## التنزه والصيد والاحتفالات بالمطرية :

كان الخروج للمطرية ونواحيها من شعائر السلطنة المملوكية كما كان أيام الفاطميين [٦] ، فقد كان سلاطين المماليك يخرجون اليها فى مواكب عظيمة ويصحبون معهم كبار الأمراء ورجال الدولة

---

(١) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق٢ جـ١ ص١١ .

(٢) وثيقة المؤيد رقم ٩٣٨ أوقاف سطر ٣٤٤ ، كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف .

(٣) على سبيل المثال ذكر ابن تغرى بردى "ان المطرية كانت من ضمن اقطاع الأمير بشتك ولما فرق السلطان المنصور ابوبكر بن محمد بن قلاوون اقطاعة على الامراء ضم المطرية لنفسه "النجوم جـ١٠ ص٨ ـ ٩ .
وذكر "ابن الجيعان" ان المطرية كانت عبرتها ١٥٠٠٠ دينار والبلسم ٣٠٠٠ دينار . التحفة السنية ص٦ .

(٤) الوثيقة رقم ٩٣٨ أوقاف سطرى ٣٤٣ ـ ٣٤٤ نشر : ـ فهمى عبدالعليم ، العمارة العربية بمصر فى عصر السلطان المؤيد شيخ .

(٥) كتاب الوقف رقم ٨٨٢ أوقاف ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٦) كان الخلفاء الفاطميون يتوجهون كثيرا الى مسجد تبر بناحية المطرية .
* ومسجد تبر قال عنه "المقريزى" هذا المسجد خارج القاهرة مما يلى الخندق عرف قديما بالبئر والجميزة وعرف بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ وموضعه خارج القاهرة قريبا من المطرية " . كما ذكر "المقريزى"=

والجنود ، وينصبون هناك الخيام ومعهم كل ما يلزمهم من مأكل ومشرب ووسائل صيد وغير ذلك لأنهم أحيانا كثيرة كانوا يبيتون هناك .

وكانت المنطقة من مناطق الصيد الشهيرة فامتدادها كبير من القبة جنوبا لعين شمس شمالا ويجاورها من الشرق الصحراء الريدانية التى حلت محلها مصر الجديدة ويحدها غربا الأميرية والزاوية الحمراء ، ويجرى بأرضها الخلجان والترع والملق .

وكان السلاطين يزورون بئر وبستان البلسان وشجرة مريم والكنيسة المجاورة لها ويقيمون احتفالات كبيرة يحييها مغنيو العصر وأصحاب الآلات وتمد هناك الأسمطة والموائد الحافلة التى يقيمها السلاطين لأمرائهم أو العكس وتكلفتها شىء كثير .

ويوم خروج السلطان لتلك الجهات يكون أشبه بأيام الأعياد حيث يصطف الآلاف من سكان القاهرة فى طريق الموكب فى الذهاب والإياب وتزين القاهرة أحسن زينة وتضاء بألوف الشموع والقناديل .

ويكون الأحتفال أكثر روعة فى أيام أعياد النصارى التى قد يتصادف وجود السلطان هناك [1] ، فعند شجرة مريم وبئر وبستان البلسان يجرى الاحتفال بعيد الزيتونة الذى يسمى أيضا عيد الششمة ، ويذكر "ابن الحاج" ان المسلمين كانوا يشاركون الأقباط فى هذا العيد فيصحبونهم إلى هناك إلى بئر البلسان بالمطرية حيث يغتسلون حيث يعتقد أن العذراء مريم غسلت فيه ثياب المسيح عليه السلام . [2]

---

= نقلا عن القضاعى والكندى وابن عبد الظاهر ان مسجد تبر هذا بنى على رأس إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن الحسين ابن على بن ابى طالب الذى قتل سنة ١٤٥هـ وأتوا برأسه إلى مصر فى شهر ذى الحجة ، أما تبر هذا فهو أحد الأمراء الأكابر فى أيام الاستاذ كافور الإخشيدى وكان له دور فى مقاومة جوهر الصقلى قائد جيوش الفاطميين وقد قبض عليه وحبس حتى توفى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م ، وقيل أنه انتحر فسلخ بعد موته وصلب وحشى جلده تبنا ولعل ذلك سببا فى أن العامة كانت تسمى هذا المسجد مسجد التبن . الخطط جـ٢ ص٤١٣ .

* ومسجد تبر هذا يقع بحديقة قصر القبة من الجهة الشرقية ، وقد أزالت السيدة شفق نور والدة الخديوى توفيق بقاياه الاثرية وأنشائه من جديد فى سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م طبقا لحساب الجمل على اللوحة الرخامية التى فوق باب المسجد المنقوش بها :

زها طالع الأنوار فى مسجد التبر ... به البطل الشبرى فى قبه السر
لقد أنشأته شفق نور وحبذا ... بها حرم المولى الخديوى ذى القدر
بوالدة التوفيق أنعم مؤرخا ... أمد أساس النور فى مسجد التبرى

٤٥ +١٢٢+ ٢٨٧ + ٩٠ + ١٠٧+ ٤٦٣ = ١٢٩٤هـ

أنظر : ـ محمد كمال السيد ، أسماء ومسميات ص٤١٩ ـ ٤٢٠ .

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص ٢٩٧ .

(٢) المدخل جـ٢ ص٥٩ ـ ٦٠ .

وصارت المنطقة أكثر قصودا عندما بنى الأمير يشبك من مهدى الدوادار قبة عظيمة برسم التنزه وأنشأ الى جانبها مدرسة وأماكن كثيرة ، وقد بنيت هذه القبة فيما بين سنتى ٨١١ ، ٨٨٢هـ / ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ م، وقد افتتحها السلطان الملك الاشرف قايتباى فى جمادى الأولى ٨٨٢هـ/ اغسطس ١٤٧٧م وأعجب بها فأقام هناك يوما وليلة وأثنى على منشئها [١] .

ومن السلاطين الذين واظبوا على الخروج للمطرية ونواحيها الناصر حسن بن قلاوون [٢] والظاهر بوقوق [٣] والناصر فرج [٤] .

وكان الأشرف قايتباى أكثر الملوك خروجا الى المطرية ونواحيها وخليج الزعفران وبصفة خاصة بعد بناء قبة يشبك الذى بات بها مرارا وتكرارا ، وكان يقيم بها الأسمطة الحافلة لأمرائه وضيوفه الذين

---

(١) الأمير يشبك من مهدى من خيرة أمراء المماليك الجراكسة ، و له مآثر عظيمة ، وكان له فضل فى تجميل القاهرة فقد اهتم بإصلاح الطرق وتوسيعها وإصلاح واجهات الربوع التى تطل على الشوارع وهدم الكثير مما كان يعوق سعتها ، ومهد الشارع الرئيسى بالقاهرة وترتب على ذلك اكتشاف سلم باب مسجد الصالح طلائع وإصلاح مسجدى المؤيد والفاكهانى وغيرهما .

وكان شغوفا بالعمارة فأنشأ كثيرا من الآثار التى لم يتبق منها سوى زيادته فى قصر الأمير قوصون ومنارة مسجد الإمام الليث وقبة الفداوية وهذه القبة ، وقد قتل يشبك فى إحدى حملاته فى الرها فى رمضان سنة ٨٨٥هـ/ نوفمبر ١٤٨٠م .

* وهذه القبة من القبات الكبيرة امتازت بطراز خاص لم يكن شائعا بقباب مصر يومئذ ، وتسود خارجها البساطة بخلاف قباب عصرها ، وهى مكونة من قاعدة حجرية فوقها قبة بالطوب مقامة على منطقة انتقال عبارة عن أربع حنايا ركنية معقودة بعقد مدبب بكل حنية عقد ثلاثى الفصوص وقد اوجد المعمار على جانبى كل حنية أى فى كوشتيها مثلثين قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى ليشاركا منطقة الانتقال فى إكمال استدارة القبة ، وقد كسيت من الداخل بالرخام المختلف الألوان وحوت كتبات قرآنية وانشائية غاية فى الروعة ذات تذهيب وألوان جميلة .

وقد ألحق مصطفى باشا فاضل فى سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م جنوب القبة جامعا ذات منارة اسطوانية وقد جدد السلطان الغورى هذه القبة فنسبت له فترة من الزمن كما جددت عدة مرات فى العصر العثمانى وعلى يد لجنة حفظ الآثار العربية .

وكان يشبك ببنائه قبته هذه مقتديا بالفاطميين الذين أنشأوا العديد من القباب والمناظر والاستراحات فى ضواحى القاهرة لأجل التنزه والتفرج مثل قبة الهواء ومنظرة التاج ومنظرة الخمس وجوه وغيرهم . انظر بالتفصيل : -

ابن اجا ، تاريخ الامير يشبك الظاهرى (تحقيق عبدالقادر طليمات) القاهرة ١٩٧٣م ، السخاوى ، الضوء اللامع جـ١ ص٢٧٢ - ٢٧٤ . حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الاثرية ص٢٥٨ - ٢٦٠ ، سامى عبدالحليم ، الامير يشبك من مهدى واعماله المعمارية بالقاهرة ، ماجستير - جامعة القاهرة سنة ١٩٧٠م .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٥٦٨ .

(٣) المقريزى ، السلوك جـ٣ ص٤٨٢ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس جـ١ ص٣٧٣ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص٨١٤ .

اصطحبهم وأضافهم هناك ، مثل جم بن عثمان ، وأحيانا كان كبار الأمراء والوزراء هم الذين يستضيفون السلطان هناك منهم الأمير ابن مزهر كاتب السر والأتابكى أزبك . (١)

كذلك اعتاد السلطان الناصر محمد بن قايتباى على الذهاب إلى هناك (٢) وكذلك الظاهر قانصوه أبو سعيد . (٣)

وكان السلطان الأشرف قانصوه الغورى مغرما بالتنزه بالمطرية ونواحيها فكان غالبا مايقضى عدة أيام بلياليها متنقلا مابين قبة العادل طومان باى إلى مطعم الطير والمسطبة السلطانية هناك حيث يستعرض ويجرب المدافع ، ويذهب من هناك إلى قبة يشبك فيقيم حفلات كبيرة يحييها كبار المغنين والموسيقيين ، وأحيانا كانت نزهاته أعياد النصارى . (٤)

وكانت مواكبة من أعظم المواكب ، وقد حدث ذات يوم أنه اراد أن يغير من طابع الموكب بأن يحمل على رأسه القبة والطير (المظلة) وهما من شعائر السلطنة التى تجرى فى بعض الاحتفالات والمناسبات وأهمها موكب العيدين ، فنهاه الأمراء عن ذلك وقالوا له أن العادة لم تجر بمثل ذلك من قبل . (٥)

وقد ذكر "ابن اياس" أن السلطان الأشرف قانصوه الغورى أمر بحفر بئر عند قبة يشبك لإرواء المسافرين وأمر بعمل فساقى ، وأنه شرع فى عمارة قصر كبير وعمل بحيرة طولها نحو مائة ذراع ، وقد شرع فى تلك الأعمال فى ذى القعدة سنة ٩١٨هـ وظل يذهب إلى هناك ويكشف عن تلك الأعمال حتى افتتح الفساقى فى يوم السبت ثامن جمادى الأولى سنة ٩٢٠ هـ وأطلق فيها الماء وبات هناك وانشرح للغاية ، ولكن "ابن اياس" لم يذكر القصر وباقى العمارة . (٦)

(١) ابن الصيرفى ، انباء الهصر ص٤٧ ، ١٦٦ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٣٢٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٣ ص٥٣ ، ٦٣ ، ١٤٧ ، ١٦٢ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٢٢٥ ، السخاوى ، الضوء اللامع جـ٦ ص٢٠٥ ، جـ١٠ ص٢٧٤ .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٤٠٠ .

(٣) نفسه جـ٣ ص٤٢٨ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص١٧١ ، ٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٤٠٩ ، ٤٣١ ، ٤٤٦ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ .

(٥) نفسه ص٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

* ويبدو ان العادة فى ركوب السلطان للصيد وفى مواكب السرحات والمتنزهات أن يكون بغير القبة والطير دلالة خاصة على التحرر والانطلاق .

(٦) بدائع الزهور جـ٤ ص٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

* من الملاحظ هنا أن وثائق السلطان الغورى لم تذكر شيئا عن القصر الذى بناه بجوار قبة يشبك وأغلب الظن ان الغورى قد عدل عن عمله لأن الظروف وقتها لم تكن تسمح بذلك كما يقول ابن اياس .

وقد ذكر ابن اياس فى كتابه طبعة بولاق جـ٣ ص٦٢ أن الغورى أنشأ عند القبة مساطب عليها دعامات .

وقد ذكر "ابن اياس" أنه كان يوجد بجوار قبة يشبك ملقة كبيرة تملأ بالماء عند الفيضان ويكون منظرها أخاذا . (١)

وفى العصر العثمانى استمرت المطرية موضع تنزه كبير فكان الأمراء والمماليك والفرق العثمانية يفضلون الذهاب لتلك الأماكن الخلوية للترويح عن النفس وللتصالح بين طوائفهم أحيانا .

ولما كانت المطرية فى طريق الجيش العثمانى الفاتح لمصر كانت المعركة الفاصلة قد دارت فى الريدانية بجوارها وكذلك بعض عمليات المقاومة المملوكية بعدها ، لذا أراد السلطان سليم الأول الاستمتاع بتلك الأماكن الجميلة التى رآها فى طريقة فذكر "ابن اياس" أنه "توجه إلى بئر البلسان التى بالمطرية وأضافة هناك محمد بن الريس شمس الدين القوصونى فمد له مدة حفلة وكذلك الشيخ دمرداش وانشرح ابن عثمان فى ذلك اليوم إلى الغاية وجلس على بئر البلسان وغسل وجهه من مائها وأقام هناك الى بعد العصر" (٢)

وكذلك كان ملك الامراء خاير بك يذهب إلى قبة الأمير يشبك وتمد هناك الموائد الحافلة . (٣)

## رابعا : الحقول (الغيطان) والبساتين والضواحى

تمثل غيطان مصر وبساتينها متنزهات بديعة فى العصرين المملوكى والعثمانى وكانت تحيط بالقاهرة من الشمال والغرب والجنوب ، وقد وصفها المؤرخ "ابن ظهيرة" بأنها " عظيمة وكثيرة ومناظرها عالية ومياهها جارية ، فيها كثير من الأشجار النضرة والأزهار العطرة والرياحين ، والفواكة الكثيرة من غالب الثمار لكن الحوامض فيها أكثر" (٤)

وثمة مشهد خلاب لانزال نرى مثيله إلى اليوم بريفنا المصرى ، كان يغلب على حقول مصر والقاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى وعد واحد من محاسن القاهرة ألا وهو منظر القرط (البرسيم) بأراضى مصر فى أيام الربيع ، فإنها تصير تربة خضراء بمنظر بهيج إذا وقف الناظر فيها يرى مد بصره يمينا وشمالا بساطا أخضر ، جلت عظمة خالقة ، ويشم فيه روائح طيبة ونسيما طيبا ، ويشاهد غيما كثيفا وظلا رقيقا وطيورا مختلفة الألوان والأشكال والأصوات ولهذا قال بعض الحكماء: من أراد أن ينظر إلى شبة الجنة فلينظر إلى ديار مصر فى زمن الربيع قبل طلوع الشمس . (٥)

---

(١) نفسه جـ٥ ص٢٢٠ .

(٢) بدائع الزهور جـ٥ ص١٨٨ .

(٣) نفسه ص٢٢٠ ، ٣٧٨ .

(٤) الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ص٢٠١ .

(٥) نفسه .

وبالنظر إلى خرائط الحملة الفرنسية للقاهرة نرى إحاطة الحقول (الغيطان) والبساتين بحدودها الشمالية والغربية والجنوبية ، وكانت مسماة بأسماء الامراء والشيوخ ومن أكبرها غيط (بستان) قاسم بك الذى كان يجتمع فيه أعضاء المعهد المصرى ومجلس العلوم والفنون خلال الحملة ، وكان يوجد داخل المدينة نفسها عدد كبير من البساتين البهيجة أهمها اثنان وعشرون بستانا يسمى الواحد منها تبعا لحجمة غيط أو جنينة . (١)

وقد قارن "جومار" بين بساتين القاهرة وبساتين فرنسا ذكر أن بها اختلافا كبيرا لأن بساتين القاهرة كانت تتألف من مشاجر كثيفة ومجاميع من أشجار البرتقال والليمون وتكعيبات العنب وفيها أشجار السنط والتين والجميز أضخم أشجار مصر ـ متداخلة مع النخيل ذى الجذع المتطاول وأشجار التوت والرمال والنبق والآس والسنط المصرى وأشجار الموز ذى الأوراق العريضة والفاكهة اللذيذة ، وكانت بساتين فرنسا على النمط المعمول به بساتين وحدائق اليوم من تقسيمها بممرات وتغطية أرضها بالنجيل الأخضر وإقامة المقاعد بها وغير ذلك . (٢)

ولكن جومار يبدى إعجابة بلمسة جمال وجدها فى حدائق القاهرة بقوله "وإذا كنا لانشعر فى هذه البساتين بمتعة الرحلة ففى المقابل يمكننا أن نأخذ بها قسطا من الراحة داخل أكشاك مغطاة بالأعراش حيث يدخن فيه مرتادوها دخانا طيب الرائحة وحيث نستنشق بها طوال العام هواءا تفوح منه أذكى أنواع العطور" . (٣)

وكانت ضواحى القاهرة من متنزهاتها فى العصرين المملوكى والعثمانى وكانت تحيط بها الحقول والبساتين من كل جانب ، ومن أهم تلك الضواحى أرض البعل والتاج والخندق ، وكوم الريش ، ومنية السيرج .

## ١ ـ أرض البعل والتاج :

أرض البعل (٤) كانت فى العصر الفاطمى بستانا يعرف بالبعل وفيه منظرة البعل وقد أنشأهما الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وقد جعل على هذا البستان سورا . (٥)

---

(١) جومار ، وصف مدينة القاهرة ص٨١ .

(٢) جومار ، وصف مدينة القاهرة ص٨١ .

(٣) نفسه ص٨١ ـ ٨٢ .

(٤) البعل فى اللغة هو الزرع يشرب بعروقه فيستغنى عن السقى ، والبعل الأرض المرتفعة التى لا يصيبها المطر إلا مرة واحدة فى السنة ، وقيل البعل كل شجر أو زرع لا يسقى ، وقيل البعل ما سقته السماء وقد استبعل الموضوع ، والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء ، وقيل هو ما اكتفى بماء السماء ، والبعل ما أعطى من الاتاوة على سقى النخل . انظر : ـ مادة بعل فى المعجم الوسيط ، المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٢٩ .

(٥) المقريزى ، الخطط جـ١ ص٤٨٠ ـ ٤٨١ ، جـ٢ ص١٢٩ .

وأرض التاج كانت فى العصر الفاطمى بستانا وفيه منظرة التاج بناها الأفضل ايضا ، وكان بستان التاج مجاورا لبستان البعل ويجاورهما بستان الخمس وجوه ، وكانت تلك البساتين والمناظر من أجل متنزهات الخلفاء والوزراء الفاطميين . (١)

وأرض البعل تقع فى جانب الخليج الغربى بحرى أرض الطبالة مقابل قناطر الاوز ، وقد ذكر "المقريزى" أنها فى أيامه كانت مزرعة ويخرج الناس للتنزه هناك أيام النيل والربيع ، وقد خربت المناظر آنذاك وبقى منها آثار ادركها المقريزى يعطن بها الكتان تدل على عظمتها وجلالتها فى حال عمارتها . (٢)

أما ارض التاج أيام المقريزى فقد زالت عنها الاشجار واستقرت فى أراضى منية السيرج الخراجية وفى أيام النيل ينبت فيها نبات يعرف بالبشنين له ساق طويل وزهره يشبه اللينوفر وإذا أشرقت الشمس انفتح فصار منظرا انيقا وإذا غربت الشمس انضم (٣) ، وربما هو الذى نعرفه اليوم باسم عباد الشمس .

ويمثل ارض البعل الآن المنطقة السكنية فى غمرة والشرابية المحدودة من الشرق بشارع الخليج المصرى (بورسعيد) ومن الشمال بشارع الآلايلى وما فى امتدادة ومن الغرب بخط السكة الحديد الموصل الى محطة مصر ومن الجنوب بشارع الظاهر وما فى امتداده . (٤)

وارض التاج تقع شمال المنطقة السابقة ويمثلها الآن المنطقة السكنية المعروفة بمهمشه وحدها الشرقى شارع الخليج المصرى أيضا والحد الشمالى شارع معمل الصابون ومن الغرب السكة الحديد ومن الجنوب شارع الآلايلى وما فى امتداده .

## ٢ـ الخندق :

الخندق (٥) قرية خارج باب الفتوح شمال القاهرة كانت تعرف أولا بمنية الاصبغ نسبة الى الاصبغ

---

(١) نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٢٩ .

(٤) انظر ايضا : ـ محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، القسم الاول ، ص١٥ ـ ١٦ .

(٥) الخندق هذا الذى تسمت القرية به ترجع قصته إلى أول سنوات الدولة الفاطمية بمصر ، فبعد أن اختط القائد جوهر القاهرة فى سنة ٣٥٨هـ أمر المغاربة ان يحفروا خندقا من الجبل إلى الابليز (وهو الطين الذى يخلفه نهر النيل على وجه الأرض بعد ذهابه) شمال القاهرة فى طريق القادم من الشام عشره عشرة أذرع فى عمق مثلها ، فبدىء فى حفرة يوم السبت حادى عشر شعبان سنة ٣٦٠هـ وفرغ الحفر فى أيام يسيرة ثم حفر خندقا آخر قدامه وعمقه=

بن عبدالعزيز بن مروان [1] ، ثم صار بستانا جليلا من جملة البساتين السلطانية فى أيام الخلفاء الفاطميين ، وقال المقريزى عن الخندق فى العصر المملوكى "وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة إليها ليتنزهوا بها فى أيام النيل والربيع ، ويسكنها طائفة كبيرة ، وفيها بساتين عامرة بالنخيل الفاخر والثمار وبها سوق وجامع تقام به الجمعة وعليه قطعة أرض من أرض الخندق يتولاها خطيبه ، فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة خربت قرية الخندق ورحل أهلها منها ونقلت الخطبة من جامعة إلى جامع بالحسينية وبقى معطلا من ذكر الله تعالى وإقامة الصلاة مدة ثم فى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة هدمه الأمير طوغان الدوادار وأخذ عمده فلم يبق إلا بقية أطلاله وكانت قرية الخندق كأنها من حسنها ضرة لكوم الريش وكانت تجاهها من شرقيها فخربتا جميعا" [2]

ولكننا نجد أن العمارة عادت بعض الشئ عقب تلك المحن وظلت الخندق متنزها بعد ذلك . [3]

وكان قرية الخندق الآن المنطقة الواقعة حول دير الملاك البحرى وما جاورها من منطقة حدائق القبة بالقاهرة . [4]

---

= ونصب عليه باب يدخل منه وهو الباب الذى كان على ميدان بستان الإخشيد ، ويقصد بذلك ان يقاتل القرامطة من وراء هذا الخندق فقيل له من حينئذ الخندق وخندق العيد والحفرة .

المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٦ .

* ولمصادفة مرور الخندق الخارجى المحفور من الجبل الاحمر إلى النيل بجوار منية الإصبغ من جهتها البحرية اشتهرت هذه القرية من ذلك الوقت باسم الخندق .

* وقد حقق المرحوم الاستاذ محمد رمزى مسار الخندق فقال " وبالبحث عن المكان الذى يمر فيه الخندق الخارجى المذكور تبين لى انه كان يبدأ من قاعدة الجبل الاحمر ثم يسير الى الشمال الغربى مارا بشارع السكة البيضاء إلى نهايته الغربية ومن هناك يعتدل إلى الشمال ثم يسير فى طريقه إلى الزاوية القبلية العربية من حوش كلية العلوم بسراى الزعفران (مبنى جامعة عين شمس الآن) ، ومن هناك ينعطف الخندق إلى الغرب ويسير فى طريقه إلى أن يتلاقى بشارع الملك (شارع مصر والسودان حاليا) تجاه مدخل شارع اسرائيل ومن هناك يسير الخندق إلى الغرب مارا فى شمال قرية منية الاصبغ وقرية الزاوية الحمراء ثم يسير فى طريقه الى الغرب الى أن ينتهى بالنيل وكان شاطىء النيل الشرقى فى تجاه الزاوية الحمراء فى ذلك الوقت أى فى سنة حفر الخندق يقع فى المكان الذى يمتد فيه الآن جسر السكة الحديدية الموصلة من محطة مصر إلى الاسكندرية وبعد ذلك طرح البحر حتى وصل شاطئة الى مجراه الحالى" .

محمد رمزى ، ا لقاموس الجغرافى ، ق٢ جـ١ ص٥٦ ـ ٥٧ .

(١) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٨ .

(٢) الخطط جـ٢ ص١٣٨ .

(٣) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص٦٧٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص٢٧١ .

(٤) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ق٢ جـ١ ص٥٦ .

## ٣- كوم الريش (الزاوية الحمراء) :

كوم الريش اسم لبلد فيما بين أرض البعل ومنية السيرج ، وكان النيل يمر بغربيها بعد مرورة بغربى أرض البعل [١] وكان كوم الريش من أجمل متنزهات القاهرة ورغب أعيان الناس فى سكناها للتنزه بها [٢] ، وقبل المحن التى تعرضت لها القاهرة ابتداءا من سنة ٨٠٦هـ كان يسكن بكوم الريش أمراء دائما ، وكان من جملة من سكن فيها دائما نحو الثمانمائة من الجند السلطانى [٣] .

وعن عمارتها قال المقريزى "وأنا أدركت بها سوقا عامرا بالمعايش بأنواعها من المأكل ولا أعرف اليوم بالقاهرة مثله فى كثرة المأكل وأدركت بها حماما وجامعين تقام بهما الجمعة وموقف مكارية ومنارة لايقدر ا لواصف أن يعبر عن حسنها لما اشتملت عليه من كل معنى رائق بهيج" [٤]

وعما آلت اليه فى زمنه من خراب قال " ومابرحت على ذلك الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فطرقها أنواع الرزايا حتى صارت بلاقع وجهلت طرقها وتغيرت معاهدها ونزل بها من الوحشة ما أبكانى وأنشدت فى رؤيتها عند مشاهدتها خرابا :

قفرا كأنك لم تكن تلهو بها ... فى نعمة وأوانس أتراب

"وكذلك أخذ ربك إذا اخذ القرى وهى ظالمة أن أخذه اليم شديد" [٥] (سورة هود الآية ١٠٢) .

ولكن الأزمات التى بدأت سنة ٨٠٦ هـ لم تدم ، ففى أيام المؤيد شيخ بدأ التعمير يعود للقاهرة ، وعادت كوم الريش إلى ماكانت عليه سابقا أثناء سلطنة الملك الأشرف قايتباى ، فقد أنشأ بها زاوية تجاه جامع قيدان دهنت حيطانها باللون الأحمر فعرفت بالزاوية الحمراء وكان ذلك سنة ٨٩٠هـ ، وقد عرفت كوم الريش منذ ذلك الوقت باسم الزاوية الحمراء وكان ذلك على يد أبو البقاء ابن الجيعان . [٦]

وقد ذكر "ابن اياس" أنه فى جمادى الأولى سنة ٨٩٦هـ " انتهت عمارة ابو البقاء بن الجيعان من

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٠ .

* وقال المقريزى عن النيل وأثره على كوم الريش "وأدركت آثار الجروف باقية من غربى البعل وغربى كوم الريش إلى اطراف المنية (منية السيرج) حتى تغيرت الأحوال من بعد سنة ست وثمانمائه ففاض ماء النيل فى أيام الزيادة ونزل فى الدرب الذى كان يسلك فيه من أرض الطبالة إلى المنية فانقطع هذا الدرب وترك الناس سلوكه" .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٠ .

(٣) نفسه . (٤) نفسه .

(٥) نفسه .

(٦) السخاوى ، الضوء اللامع جـ٦ ص٢٠٩ . محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ق٢ ج١ ص١١ . ، تعليقه على النجوم الزاهرة جـ٩ ص٢٠٣ .

تجديد ما عمره فى الزاوية الحمراء التى عند قناطر الأوز وصارت من جملة مفترجات القاهرة ، وفى ذلك يقول بعض الشعراء : ـ

عجبت لجامع قد زاد حسنا وأبدع فى التزخرف والبناء

به أنهار تجرى فى جنان وقصر شاهق لأبى البقاء

وصنع هناك جامعا بخطبة وجاء فى أحسن المبانى . (١)

ونفهم من كلام ابن اياس ان ابن الجيعان قد حول الزاوية إلى جامع بخطبه ، ويرسم لنا ابن اياس صورة للمنطقة أنذاك بقوله فى ترجمته لابن الجيعان (٢) انه هو الذى "أنشأ عمارة الزاوية الحمراء وجعل بها خطبة والحوض والسبيل ، وأنشأ هناك القصور والمناظر والغيط الحافل وصار ذلك المكان من جملة مفترجات القاهرة وتسعى إليه الناس فى زمن النيل بسبب الفرجة هناك وصار عوضا عن التاج والسبعة الوجوه التى كانت من المفترجات القديمة " (٣)

وقد ظلت أعمال ابن الجيعان قائمة فى العصر العثمانى وكانت الزاوية معروفة باسمه وقد آل القصر الذى انشأه والجنينه الملحقة به و كذلك الاراضى والغيط الذى كان جاريا فى أوقافه إلى الأمير عثمان كتخدا القازد وغلى فى محرم سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م (٤)

## ٤ـ منية السيرج :

منية الشيرج لا تزال موجودة للآن بشبرا بالقاهرة ، و هى بلده قديمة لها أهميتها لوقوعها فى طريق الاسكندرية ، وسميت بهذا الاسم لأنه كان بها معاصر كثيرة للسمسم الذى يستخرج منه زيت الشيرج المعروف بالسيرج وهى تعرف أيضا بمنية الأمير ومنية الامراء لكثرة من سكن بها منهم فى العصر المملوكى ، وكانت آنذاك عامرة بدور السكنى والقصور وجامع وزوايا وحمامات وبساتين ومتنزهات وكان سوقها الذى يقام الأحد من أسواق مصر المشهورة وكان يباع فيه البقر والغنم

---

(١) بدائع الزهور جـ٣ ص٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٢) ابن الجيعان هو ابو البقاء محمد بن يحيى بن شاكر ، كان رئيسا حشما فاضلا عارفا بأحوال المملكة وكان مقربا عند الأشرف قايتباى ورقى فى أيامه وانتهت إليه الرياسه وفاق على من تقدمه من أقاربه وكان أديبا حلو اللسان سيوسا وله اشتغال بالعلم وكان من نوابغ بنى الجيعان ، وكان له بر معروف ، وقد قتله بعض المماليك فى ذى القعدة سنة ٩٠٢ هـ عن عمر يناهز الستين عاما ، وولى السلطان مكانه أخاه صلاح الدين وقرره فى استيفاء الجيش مضافا لما بيده من كتابة السر .

ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٣ ص٣٦٣ .

(٣) نفسه .

(٤) كتاب وقف عثمان كتخدا رقم ٢٢١٥ أوقاف ص١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ .

والغلال، وكانت عبرتها فى العصر المملوكى تفوق العشرة آلاف دينار وكانت تشتهر بعصر الخمر وبيعه ، وكان أكثر من كان يسكن بها النصارى [1] ولا يزالون .

وهى من محاسن متنزهات القاهرة فقد اتخذها الناس منزل قصف ودار لعب ولهو ومغنى صبابات ، وبها كان يعمل عبد الشهيد لقربها من ناحية شبرا ، وذكر "المقريزى" أنه أدركها عامرة بكثرة المساكن والأسواق والمناظر وتقصد للنزهة بها أيام النيل والربيع لاسيما يومى الجمعة والأحد فإنه كان للناس فى هذين اليومين مجتمع ينفق فيه مال كثير" . [2]

وكانت منية السيرج واقعة على شاطىء النيل لغاية سنة ٦٨٠ هـ وفى تلك السنة طمى الخور الذى كان فاصلا بينها وبين جزيرة الفيل التى تشمل اليوم قسمى شبرا وروض الفرج من أقسام القاهرة فاتصلت أرض الجزيرة المذكورة بالشاطئ الأصلى للنيل وبذلك أصبحت مساكن هذه القرية فى وسط الأراضى الزراعية . [3]

## خامسا : رباط الآثار

يعتبر رباط [4] أثر النبى من أهم متنزهات مصر ذات الصفة الدينية فى العصريين المملوكى والعثمانى وذلك لما تمتع به منذ انشائه من موقع إذا كان يقع جنوب مدينة مصر الفسطاط مطلا على النيل مباشرة ومحاطا ببساتين ومزروعات ومواجهاً لبرك الحبش والشعيبية وشطا ، وكان يتوصل إليه عن طريق جسر الأفرم . [5]

وكان الرباط مجاورا لبستان شهير عرف باسم المعشوق ، والمعشوق هذا بستان قديم كان بمظاهر مصر من جملة خطة راشدة كان قد عرف أولا بجنان كهمس بن معمر ثم عرف بجنان الأمير تهيم بن

---

(١) ابن دقماق ، الانتصار جـ٥ ص٤٧ ، المقريزى جـ٢ ص١٣٠ ، ابن الجيعان ، التحفة السنية ص٧ ، احمد دراج ، حجة وقف الاشرف برسباى ص٤٢ .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٠ .

(٣) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق٢ جـ١ ص١٤ ـ ١٥ .

(٤) الرباط نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الاسلام ، بحد السيف ، وكانت الأربطة منتشرة فى صدر الإسلام قبل أن يتشر الدين ويستتب الأمن وتأمن الدولة الاسلامية على حدودها ، وقد كانت فى تصميمها تشبه التحصينات الحربية فمعظمها عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل فى أركانها أبراج للمراقبة ، ولما زالت عن تلك الاربطة صفتها الحربية أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية وأصبحت تدرس بها علوم الدين وصارت تبنى فى وسط المدن ، كما خصصت بعض الربط للنساء اللاتى أصبحن بلا عائل فاهتمت تلك الربط النسائية بكفالها المرأة المسلمة وحمايتها . أنظر : المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٢٧ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر جـ١ ص٤١٣ ، دولت عبدالله ، معاهد تذكية النفوس فى مصر فى العصر الايوبى والمملوكى ، القاهرة ١٩٨٠م ص٤٩ ـ ٥٠ .

(٥) عن جسر الأفرم انظر ما سبق ص ١٣٣ .

المعز لدين الله ثم حدده الأفضل بن أمير الجيوش فعرف به ثم صار من وقف ابن الصابونى فأخذه الصاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر وأوصى بعمارة رباط للآثار النبوية وأن توقف عليه . (١)

وظلت الأراضى حول رباط اثر النبى بساتين وحقولا (٢) حتى حولت إلى أرض مبانى فى النصف الثانى من هذا القرن فاتصلت مبانيها بدار السلام (دير الطين سابقا) من ناحية الجنوب أما شمال الرباط فقد شغل ساحل اثر النبى جزءا كبيرا من هذه البساتين ، و كذلك شغل جزء من الأرض الآن جراج لهيئة النقل العام بالقاهرة .

ويشرف جامع اثر النبى (رباط سابقا) حاليا على ترعة أثر النبى وهى فرع من النيل يواصل لساحل الغلال .

## الآثار المنسوبة للرسول "صلى الله عليه وسلم" :

اعتبر المؤرخون هذه الآثار من الفضائل التى اختصت بها مصر دون غيرها من البلاد (٣) ، وقد اختلف المؤرخون والرحالة فى عدد وثمن وصفة وتأكيد نسبة هذه الآثار للرسول صلى الله عليه وسلم التى حواها الرباط وقت انشائه ، ويرجع سبب ذلك أن بعضهم لم يرها فذكر مانقل له عنها بالسماع ، ومنهم من تساهل فى استقصاء عددها واكتفى بذكر بعضها ، ولقد أحسن من احتاط منهم فأعقب عبارته بقوله (وغير ذلك) ، ونخلص من تلك الروايات أنها كانت قطعة من العنزة أى الحربة ، وقطعة من القصعة ، ومرود عبر عنه بعضهم بالميل وقال بعضهم من نحاس وبعضهم من نحاس اصفر ، وملقط قال عنه بعضهم من حديد وقيده بعضهم بكونه صغير لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها ، ومخصف وقيده بعضهم بكونه صغيرا وعبر عنهم بعضهم بالأشغى الذى كان

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٤٢٩ .

(٢) ذكر المرحوم "محمد رمزى" أن "أثر النبى أصلها عزبة قديمة من ضواحى مصر القديمة عرفت باسمها الحالى نسبة إلى مسجد الآثار النبوية الموجود بهذه القرية ، وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ضمت الأراضى الزراعية الواقعة فى منطقة البستان المعشوق وبركة شطا وبركة الشعيبية إلى بعضها وتكون منها زمام خاص باسم ناحية أثر النبى وبذلك أصبحت هذه القرية من ذلك التاريخ ناحية قائمة بذاتها من الوجهتين الإدارية والمالية وهى الآن تابعة لمحافظة مصر فيما يختص بأعمال الإدارة والضبط والصحة والقرعة ولمركز ومديرية الجيزة فيما عدا ذلك ويسميها العامة أثر النبى بالتاء بدل الثاء " .

أنظر :- القاموس الجغرافى ق ٢ جـ٣ ص٣ ، تعليقة على النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٦١ ، جـ ١١ ص٢٧٢ .

* والآن اصبحت تلك الناحية تابعة من كافة أمورها لمحافظة القاهرة .

(٣) ابن ابى السرور البكرى ، الكواكب السائرة فى اخبار مصر والقاهرة (مخطوط) ص٩٣ .

صلى الله عليه وسلم يخصف به نعله ، ومكحلة ومشط وانفرد بذكرهما "ابن كثير" وقطعة عصا وانفرد بذكرها "الجبرتى" وقطعة من القميص لم يذكرها الا "ابن اياس" و"الجبرتى" . (١)

ومن غير الآثار النبوية المصحف المنسوب لأمير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه ثم أضاف إليها السلطان الغورى المصحف العثمانى الذى كان بمدرسة القاضى الفاضل (٢) وهما باقيان إلى اليوم وفى نسبتهما إليهما نظر . (٣)

ولم يبق من الآثار النبوية اليوم إلا المكحله والمرود والقطعة من القميص والقطعة من القضيب وهى التى عبر عنها الجبرتى بقطعة عصا وضم إليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة محفوظتان فى زجاجه . وقد حفظت جميعها فى أربعة صناديق صغيرة من الفضة ملفوفة فى قطع من الديباج الأخضر المطرز : المكحلة والمرود فى صندوق والشعرتان فى صندوق والقميص فى صندوق والقضيب فى صندوق ، وفقدت بقيت الآثار التى كانت معها وهى القطعة من العنزة والقطعة من القصعة والمخصف والملقط والمشط ولا يعلم فى أى زمان فقدت . (٤)

## نقل الآثار من الرباط :

ظلت الآثار برباط الآثار منذ إنشائه حتى نقلها السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى إلى قبته التى انشأها مواجهة لمدرسته بسوق الشرابشيين بأول الغورية حاليا (اثر رقم ١٨٩) بحجة تشعث بناء الرباط والخوف عليها من السراق نظرا لانعدام الأمن فى المنطقة التى بها الرباط آنذاك ، وكان ذلك فى جمادى الأولى سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م بعد أن أفتى العلماء بجواز نقلها فأجازوه بخلاف شروط الواقف ، وأضاف الغورى إلى هذه الآثار ربعة شريفة مكتوبة بالذهب كانت بالخانقاة البكتمرية التى بالقرافة . (٥)

---

(١) ابن بطوطة ، الرحله (ط دار الكتاب اللبنانى) ص٣٧ ، القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٣٤٧ ، المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٢٩ ، ابن ايبك ،كنز الدرر جـ٩ ص١٩٢ ، ابن دقماق ، الانتصار جـ١ ص١٠٢ ـ ١٠٣ ، السيوطى ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٢٧٣ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص٦٨ ـ ٦٩ ، الجبرتى ، عجائب الاثار جـ٢ ص١٧٤ ، احمد تيمور ، الاثار النبوية (ط ٢ القاهرة ١٩٥٥م) ص ٢٧ ـ ٣٥ .

(٢) كانت مدرسة القاضى فى درب ملوخية المعروف الآن بدرب القزازين قرب المشهد الحسينى ، انظر : ـ احمد تيمور ، الآثار النبوية ص٣٦ .

(٣) نفسه ص٤٢ .

(٤) نفس الصفحة .

(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ٦٨ ـ ٦٩ .

* خانقاه بكتمر هذه ذكرها المؤرخون بأنها بطرف القرافة فى سفح الجبل مما يلى بركة الحبش وأقامها بكتمر فى =

وظلت هذه الآثار الشريفة محفوظة بقبة الغورى حتى سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م حيث نقلت إلى المسجد الزينبى ، ثم نقلت فى موكب حافل إلى خزانة الأمتعة بالقلعة ، ثم نقلت منها سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م الى ديوان الأوقاف ، وفى سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م نقلت الى قصر عابدين مقر الخديوى ومنه نقلت فى السنة المذكورة إلى المسجد الحسينى فى موكب مهيب ضم ثلاثين ألف نسمة واحتشد لرؤية نحو مائتى ألف ، ثم أقام لها الخديوى عباس حلمى سنة ١٣١١هـ / ١١٩٣م حجرة خاصة لها وراء الجدار الشرقى للمسجد الحسينى ، الجدار الجنوبى لقبة المسجد وجعل لها بابان واحد إلى المسجد وواحد الى القبة . (١)

## المكانة الدينية التى تمتع بها الرباط :

تمتع الرباط بمكانة عظيمة فى قلوب الناس جميعا حكاما ومحكومين فى العصرين المملوكى والعثمانى نظرا لما ضم به من آثار شريفه نسبت للنبى صلى الله عليه وسلم كانوا يتباركون بها على وجه العموم .

ويكون للرباط أهمية عظمى فى حالة حدوث الأحداث الجسام كالطواعين والأوبئة ويكون له الأهمية القصوى بوجه خاص فى حالة حدوث توقف النيل عن الفيضان أو زيادته عن الحد إذ يهرع اليه الناس جميعا على رأسهم العلماء والقضاة حينئذ وكانوا يغسلون تلك الآثار فى ماء النيل فى الرباط أو فى مقياس النيل ويتضرعون الى الله سبحانه وتعالى أن يكشف عنهم البلاء (٢) ، وربما كان

---

= شهر رجب ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م وبنى بجانبها حماما وأنشأ هناك بستانا فعمرت تلك الخطة وصار بها سوق كبير وعدة سكان وتنافس الناس فى مشيختها ووضع بها الربعة الشريفة المكتوبة بماء الذهب ، وكانت هذه الخانقاه بالقرب من مقام ابن عطاء الله السكندرى وعبد الله بن أبى جمرة الباقين للآن بقرافة على ابو الوفا الكائنة تحت سفح ا لمقطم من الجهة الشرقية لقرافة الامام الليث ، كما كانت مجاورة لمقام سيدى محمد وفا ، وكانت بجوار حوش الملك الظاهر بيبرس . انظر : ـ المقريزى ، الخطط جـ١ ص٤٢٣ ـ ٤٢٤ ، السخاوى ، تحفة الاحباب ص٧٧ ـ ٧٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٤٦٧ .

* هذه الربعة الشريفة محفوظة الآن بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٢ مصاحف ميكروفيلم ٣١٧٧ ، و الوقفية الواردة عليها مؤرخة بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ومقاسها ٤ر٥٥ X ١ر٤٠ سم . انظر : ـ عبداللطيف ابراهيم ، المكتبة المملوكية (القاهرة ١٩٦٢م) ص٧٤ لوحة ٢ ، محمد حمزة ، قرافة القاهرة ص٨٠ ـ ٨١ .

(١) انظر بالتفصيل : ـ احمد تيمور ، المرجع السابق ص٣٩ ـ ٤١ .

(٢) انظر : ـ المقريزى ، السلوك جـ٣ ص٢١٨ .

ابن حجر العسقلانى ، انباء الغمر جـ١ ص٥٩ ، جـ٢ ص٢٥٩ ، ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور جـ١ ص٨٧

ذلك هـــو السبـــب الذى من أجـــله جعـــل الصـــاحب تاج الدين ابن حـنا يبنى الرباط علـى النيل مباشرة .

## عمارة الرباط فى العصر المملوكى :

بالرغم من أن الرباط الأصلى قد زال كلية وبنى مكانـه مسجد إلا أننا نستطيع أن نستشف الوضع الإنشائى الذى كـان عليه والذى كانت علـيه الأربطة فى العصر المـملوكى فتقول أنه فـى الغالب كان يتكون من صحـن مكشوف يحيط به مكان مغـلق للعبادة (إيوان أو اكثر) وكذلـك طبقات (حجرات) متجاورة لإقامة الصوفية وربما كان له أكثر من طابق . (١)

وقد أنشأ الرباط الوزير الـصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الديـن محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمـد بن سليم بن حنا ، وذلك ليضم به الآثار التى تنسـب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد مـات تاج الدين سنة ٧٠٧هـ ولم يكن قد أكمل الرباط فأكـمله ابنه الصاحب ناصر الدين . (٢)

ولما أكمل الصاحب ناصر الدين بناء الرباط بعـد وفاة والده رتب عليه الأوقاف الكثيرة وجعل فيه الطعام للـوارد والصادر والجراية لخدام تلك الاثـار الشريفة (٣) ، كما استـحدث وظيفة هامة تـعلقت بالآثار فى العصر المملوكى هى وظيفة شيخ رباط الآثار . (٤)

واستمر الاهـتمام بالرباط فى العـصر المملوكى فنرى أن الـسلطان الاشرف شعبان بـن حسين بن

---

(١) نـستشف ذلك الوصف من الأربطة التى بقيت من العصر المملوكى مثل رباط أبو طالب .

* وكذلك مما ذكره الرحالة "ابن بطوطة" الذى زار مصر فى طريقة للحجاز أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون حيث وصف الرباط بأنه رباط عظيم وأنه قد بات به ليلة .

انظر الرحلة ص٣٧ .

* وكذلك ما ذكره البرهان الحلبى فى حاشيته المسماة نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس إذ قال : " فى آخر مصر مكان على النيل مبنى محكم البنيان وله طاقات مطـلة على النيل ومكان ينزل اليه وبركة من ماء النيل ومطهرة بماء النيل . . " .

انظر احمد تيمور ، المرجع السابق ص٣٢ .

(٢) أسرة ابن حـنا أسرة عريقـة تولى أفرادهـا منصب الوزاره وغـيره من الوظائـف الهامة فـى زمن الدولتين الأيـوبية والمملوكية البحرية ، وتميز أفرادها بالتدين وحب العلم والكثير من الصفات الحميدة . عنهم بالتفصيل انظر : ـ

ابن اييك ، كنز الدرر جـ٩ ص١٩٤ ، ابن دقماق ، الانتصار جـ٤ ص١٠٢ ـ ١٠٣ ،

المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٢٢٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٤٢٩ ، ابن حجـر ، الدرر الكامنة جـ١ ص٢٤٨ ، جـ٤ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٣٨٥ ، ٤١١ ، ٥١٥ .

(٣) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٢٩ ، ابن بطوطة ، الرحلة ص٣٧ .

(٤) السخاوى ، التبر المسبوك ص٣٥ ، الضوء اللامع جـ١ ص١٣٨ .

محمد بن قلاوون قد قرر فيه دروسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعنده عدة من الطلبة ولهم جار فى كل شهر من وقف وقفه عليهم . [١] وفى ايام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط [٢] ، كذلك أمر السلطان المؤيد شيخ بتجديد الرباط فى رجب سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م . [٣]

ونظرا للترميمات العديدة للرباط ذكر السيوطى أن الرباط قد تغيرت معالمه فى نهاية العصر المملوكى . [٤]

## عمارة الرباط فى العصر العثمانى :

هدم الرباط كلية فى العصر العثمانى وبنى مكانه جامع صغير هو الموجود حاليا ، وكان ذلك بإذن السلطان العثمانى محمد الرابع (١٠٥٨ ـ ١٠٩٩ هـ/ ١٦٤٨ ـ ١٦٨٨م) وتم إنجاز ذلك على يد الوالى ابراهيم باشا الدفتردار (١٠٧١ ـ ١٠٧٤هـ / ١٦٦١ ـ ١٦٦٤م) كما بنى ابراهيم باشا قصرا كبيرا مجاورا للجامع بالاضافة إلى رصيف لدفع ماء النيل عن بنائه كما أوقف عليه أموالا ، وكذلك أوقف عليه أرضا وعين وعين به قراء ووظائف وحراسا قاطنين به . [٥]

وكان بناء الجامع لأجل وضع آثار قدمين نسبوهما إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بديلا عن الآثار التى كانت قد نقلت الى قبة الغورى . [٦]

وفى فترة حكم الوالى عمر باشا السلحدار (١٠٧٤ ـ ١٠٧٧هـ / ١٦٦٤ ـ ١٦٦٧م) تم إحاطة الجامع بسور من الخارج فى الأربع جهات وتم وضع سواقى فى الأرض المحصورة بين الجامع والسور

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٢٩ .

(٢) نفسه .

(٣) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص٥٣٤ ، العينى ، عقد الجمان (نشرالزهراء) ص١٠٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص٩٩ .

(٤) حسن المحاضرة جـ٢ ص٢٧٣ .

(٥) تم تسجيل تلك العمارة التى قام بها ابراهيم باشا الدفتردار بأمر السلطان محمد الرابع على اللوحة الرخامية التى توجد أعلى مدخل القبة التى بها آثار القدمين وكذلك على اللوحة التى تعلو دخلة الآثار . وانظر ايضا :ـ ابن الوكيل ، تحفة الاحباب (مخطوط) ص٢٠٣ ، الصوالحى ، تراجم الصواعق فى واقعة الصناحق ص٩٩

* وقد اثنى الرحالة النابلسى على هذا القصر . أنظر الحقيقة والمجاز ص٢٤٠ .

(٦) آثار الاقدام التى نسبوها للرسول صلى الله عليه وسلم والمنتشرة فى أماكن عديدة لا أساس لها من الصحة وقد فند تلك الادعاءات الكثير من العلماء

من الجهة الجنوبية الشرقية والجهة الشمالية الشرقية ، وتم إنجاز ذلك حسب ماهو مثبت باللوحة التى تعلو الباب فى السور بالجهة الجنوبية الشرقية سنة ١٠٧٧هـ .

وفى شهر رجب سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩ م قام الخواجا (التاجر) محمود حسن بزرجان بتجديد الجامع كما كان عليه . (١)

وفى سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م هدم محمد على القصر المجاور للجامع وأنشأ مكانه قصرا غيره على طراز القصور الاوربية وزخرفه بزخارف الباروك والروكوكو وفرشه أحسن فرش وكان كثير التنزه إليه والمبيت به (٢) ، وهذا القصر لا وجود له حاليا ولا يزال موضع أرضه فضاءا محاطا بسور ملاصق لسور الجامع .

## الوصف الحالى للجامع (اثر رقم ٣٢٠) :

الجامع محاط من الخارج بسور كبير من الأربعة جهات ، وبالطرف الجنوبى من الجانب الجنوبى الشرقى للسور باب ذو عقد قوس (موتور) يعلوه نص انشائى باللغة التركية يحمل اسم السلطان محمد غازى (محمد الرابع) وتاريخ سنة ١٠٧٧هـ ويفيد النص وضع ساقية فى الجنينة المحيطة بالجامع، ولا يزال يوجد للآن عمودا ساقية فى الجهة الشمالية الشرقية للجامع ، العمود الأول يقع على امتداد جدار القبلة يتوسط المسافة بين كتف الزاوية الشرقية للجامع وبين السور وهو يربط بين عقدين قوسيين يرتكزان فى الوسط على طبلة العمود وفى الطرفين على كتف الزاوية الشرقية للجامع وعلى السور الشمالى الشرقى وهذا العمود مثمن الاضلاع وتاجه كورنثى (لوحة ٥٣) أما العمود الآخر فهو اسطوانى وتاجه كورنثى ويربط كذلك عقدين قوسيين يرتكزان فى الوسط على طيلته وفى الطرفين على كتف الزاوية الشمالية للجامع وعلى السور الشمالى الشرقى ، وتربط هذا العقود بأزبطة خشبية .

ويتوسط السور الشمالى الشرقى فتحة باب متوجه بعتب مستقيم ، وقد سعت هذه الفتحة حاليا وكانت تؤدى إلى القصر الذى موضعه الآن أرض فضاء .

والجامع من الخارج مستطيل الشكل أبعاده ١٠ر١٧X٦٠ر١٦م وواجهاته الأربعة خالية وهو خال من الزخارف ، ويتوسط الجانب الشمالى الغربى باب الدخول إليه وهو باب خشبى بسيط من مصراعين وهذا الباب يتوسط دخلة متوجة بعقد قوسى (موتور) وعلى جانبيها جلستان صغيرتان ، وعلى جانبى المدخل أربعة شبابيك شباكان فى كل جانب وتلك الشبابيك مستطيلة الشكل يتوجها

---

(١) الجبرتى ، عجائب الاثار جـ٣ ص٢٧٢ .

(٢) نفسه، ص٥٧١ .

أعتاب من صنجات معشقة ويغشيها من الخارج مصبعات خشبية ، ويرتد الجدار قليلاً للداخل فوق مستوى الشبابيك ، ويعلو الأربع شبابيك والباب خمس قمريات مطاولة عقودها مدببة ويغشيها من الخارج سلك ، وكذلك باقى الواجهات بسيطة وتشابه تلك الواجهة .

أما الجامع من الداخل فيتكون من مساحة مستطيلة ابعادها ١٠ر١٥X٦٠ر١٤م ، وهذا الجامع مقسم إلى ثلاثة أروقة متساوية بواسطة باثكتين ثلاثيتين عقودها نصف دائرية أوسعها الأوسط تسير موازية لجدار القبلة محمولة على أربعة اعمدة .

ويتوسط جدار القبلة محراب قطاعة مدبب يتقدمه دخله اتساعها متران على جانبيها عمودان مثمنان ذوا تيجان وقواعد ناقوسية أما اتساع فتحة المحراب فتبلغ ١٨ر١م ، وعمقها ٨٠ر٠م ، يعلوه طاقية على هيئة ربع كرة زخرفت بزخارف إشعاعية بالألوان الصفراء والزرقاء والحمراء ، وتلك الإشعاعات تنطلق من شمس مشرقة ، وقد حددت توشيحتى المحراب بجفت لاعب ذات ميمات مستديرة ومسدسة ، يلعو ذلك آية قرآنية نصها "كلما دخل عليها زكريا المحراب" ، وعلى كل جانب من جانبى المحراب شباكان وتلك الشبابيك الأربعة وكذلك بقية شبابيك الجامع ذات اتساع واحد يبلغ كل منها ٥٥ر١ م يغلق على كل منها مصراعان خشبيان من الداخل ومصبعات حديدية من الخارج ، وترتفع الشبابيك عن أرضية الجامع ٣٢ر٠م ويعلو كل شباك قمرية مطاولة من الجص والزجاج الملون من الداخل بشكل زخارف هندسية وأشكال نجمية ، ومن الخارج مغشاة بسلك ، ويعلو المحراب قمرية مستديرة من الزجاج المعشق بالجص .

ويقابل هذا الجانب الجانب الشمالى الغربى الذى يماثله فى فتحات شبابيكة وقمرياته ولكن القمرية التى تعلو الباب مطاولة وليست مستديرة كالتى تعلو المحراب الذى على نفس محور الباب .

والجانب الجنوبى الغربى يحتوى على ست فتحات أربع فيها شبابيك واثنتين بابين يؤدى أحدهما إلى الحجرة بها آثار الأقدام والباب الآخر يؤدى إلى دورة المياه ، ويعلو الشبابيك الاربعة أربع قمريات مطاولة ، ويقابل هذا الجانب الجانب الشمالى الشرقى الذى فتح به ٤ شبابيك وحوى كتيبتين وفى المستوى العلوى فتحت أربع قمريات من الزجاج المعشق بالجص تعلو الشبابيك .

وأرضية هذا المسجد حجرية والسقف خشبى حديث وكان السقف القديم مزخرف بالألوان والتجليد كما يتضح من بقايا قليلة تبقت منه أثناء ترميم هيئة الآثار الحالى للجامع وقد زخرفت جدران المسجد بالألوان ، وعلى جدار القبلة زخارف عبارة عن مربعات بداخلها أشكال ورود ، وأما الجدران الثلاثة الأخرى فزخارفها عبارة عن دالات وذلك باللونين الأحمر والأسود ، وقد زخرفت بواطن العقود بزخارف على هيئة صنج مزررة باللونين الأحمر والأسود .

ويوجد على يمين المحراب منبر خشبى حديث من حشوات هندسية مستطيلة ومربعة ويوجد فى

الركن الغربى للمسجد دكة مبلغ محمولة عـلى الجدارين المتقابلين وعمود مستدير ذات تاج كورنثى ، ويصعد من خلاله الدكة إلى سطح والمئذنة .

ونلاحظ أن الاعمـدة الرخامية الأربعـة بالمسجد متـماثلة وهى مثـمنه البدن ونلاحـظ أن عمودى البائكة التى تلى جدار القـبلة مباشرة شكل الجزء السفلى منها على هيئة قاعـدة مربعة يعلوه التثمين ، ويعلو هذين العمودين تاجان كورنثيان أما عمودى البائكة الأخرى فيعلوهما تاجان ناقوسيان وقد حفر على بدنهما كتابة بالخط الثلث المملوكى على أحدهما كتب "أمر بتجديد هذا المكان المبارك " والآخر عليه "مولانا السلطان الملك" (١).

## القبـــــة :

أما الحجرة التى بها الآثار فـهى مربعة ٢ر٩٥ ـ ٢ر٨٥م ، يعلو تربيعها منطقـة انتقال على الطراز الحلبى على هيئة أربعة مثلثات بأركانها رأسها لأسفل تتكون من أربع حطات (١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤) ، يلى ذلك رقبة مستديرة فتح بـها ٨ قمريات يعلوها قبة مرتفعة قطاعهـا مدبب محلاة من الداخل بزخارف دالية ملونة ويتدلى من صنجتها المفتاحية سلـسلة تحمل مركبا . والقبة من الخارج مزينة بزخارف دالية تبدأ بميمات ، ومنطقة الانتقال من الخارج على هيئة مثلثات منزلقة (مائلة) .

ويوجد بجدار القبلـة بهذه الحجره محراب ذات قطاع مدبب على يسار الـداخل ، أما على اليمين فتوجد دخلة متوجه بـعقد مدبب يرتكز على عمودين مسدسين ، وترتـفع ارضية الدخلة ٨٠ سم عن أرضية الحجـرة وقد وضع بها قطـعة حجرية نحت بـها آثار قدمين ، ويتـصدر الدخلة لوحـة رخامية مزخرفة بزخارف نباتية من أوراق وزهرة اللالا والخرشوف وعـلى جانبى اللوحة شجرتى سرو ، وبها نص كتابى عبارة عن سطـرين باللغة التركية تفيد الدعاء لابراهيم بـاشا واضع الاثر ، ويتوسط أعلى جدار القبلـة قمرية مستديرة ، وبـالجانب المقابل يوجد بـاب الدخول عبر مدخل منـكسر ، وبالجدار الجنوبى الغربى شباك فى دخلة مائلة يعلوه قمرية مطاولة ايضا ، والجدار المقابل له به شباك مشترك مع المسجد يعلوه قمرية مطاولة أيضا ، و أرضية الحجرة من رخام ملون موزع بطريقة هندسية .

وكانت الحجرة كلها مزخـرفة بالبلاطات ا الخزفية المربعة المزخرفة تبعا لـلاسلوب المسمى بأسلوب أزنيق الذى أنـتشر فى القرن ١٧ م وهى تحـوى زخارف من زهور اللالا والأوراق المسـنة والخرشوف وغيرها ، وهى كلها باللون ا لازرق ، وقد فقدت بعض البلاطات الآن .

---

(١) هذه الاعمدة تجلعنا فى وضع محير إن كانت تنتمى للعـصر المملوكى فمعنى هذا أن الرباط قد تحول إلى مسجد فى ذلك الوقت وأسلوب الكتابة هنـا يذكرنا بالنقوش الكتابية الخاصة بالسلطان قـايتباى بالرغم من أن أى من المصادر المملوكية لم تذكر تحويل الرباط لمـسجد حتى أن "ابن اياس" الذى عـاصر الدولتين المملوكية والعثمانية لم يذكر مثل ذلك وإنما ظل ينعت المكان برباط

## المئذنـــــــة :

للجامـع مئذنة مقامة علـى الطراز العثمانى وهـى تقع على نفس مـحور القبة فى الزاوية الـغربية للمسجد، وهـى تتكون من قاعدة مربعة بارتفـاع مدماك حجرى واحد فوق سطح المسجـد ثم منطقة انتقال على هيئة مثلثات منزلقة ، ثم بدن مـضلع من الخارج يتكون من ١٢ ضلعا أما من الداخل فهو مستدير وقد فـتح بكل ضلع من أضلاع الاتجاهات الجغرافـية فتحة مـستطيلة لـلاضاءة ، ويعلو ذلك البدن دورة محمولة علـى مقرنصات ذات دلايات ، وينطلق من وسط الدورة البـدن الثانى وهو على شكل اسطوانى يعلوه قمة مدببة من ١٢ ضلعا ينطلق منها هلال .

## النصوص الكتابية :

يوجد بداخل الجامـع نصان انشائيان ، بالاضافة الـى نص ثالث بلوحة تعلو المـدخل الذى بـسور الجامع الخارجى ، وهذه النصوص باللغة التركية .

أما النص الأول الـذى بداخل الجامع فيـقع على يسار مـدخل القبة وهو مـنقوش بلوحة رخـامية أبعادها ٥ر١ X ٧ر٠م ، و هو يتكون من أربعة سطور كل سطر منها يتكون من ثلاثة بحور تفصل بينها زخارف على شكل جامات وأنصافها ، وهى كالتالى :

* الـسطر الاول : جناب حضرت سلطان محمد غازى . وجود يابنى خيراته مظهرا ايتدى خدا . درون ياكنه الهام ايدوب خداى جليل .

* الـسطر الثانى : كايـده بو جامعى رسم قدم اوزره بنا . سمى بانى بيـت اله ابراهيم . كه ملك مصر عد النده والى در حالا .

* الـسطـر الثالث : كميـنه بنده سمى اول بـادشاه دورانك . بوكو بـرا ثرى ايتدى نامنـه احيا . سوروب يوزين قدمى رسمنه او سلطاناه .

* الـسطر الرابـع : نوله شفا عنته مظـهرا وله روز جزا . دعا ايدوب ديدى اتمامـنه ذكى تاريخ . يرنده جامع عالى اساس بى همتا .

## ترجمـــة النـــص :

١ ـ حضرة جناب السلطان محمد الغازى . لاعمال الخير وجهه الله . وجه الله الجليل قلبه الحساس .

٢ ـ بنى الجامع بنفس التخطيط القديم . بانى بيتا لله هو ابراهيم والى مصر حالا .

٣ ـ هو عبـــد ياد شـاه الكـون . قدم لـلحـياه عمل فنـى لتمجيده . قدم ولائه للـسلطان حسب التقليد القديم .

٤ ـ لتكتب له الشفاعة يوم القيامة . قال ذكى عن تاريخ الانتهاء فى هذا المكان ألقينا أساس لمسجد فريد من نوعه . [١]

النص الثانى :

عبارة عن سطرين باللوحة الرخامية التى بأعلى صدر الدخلة التى فوق أثرى القدمين ونصهما كالتالى : ـ

١ ـ بو مقامى ايلدى رسم قدم او وزره جديد .

٢ ـ قيلسون ابراهيم باشا نيك خدا عمرن فريد .

## ترجمة النص :

١ ـ فى هذا المكان يظهر على سطح هذا الحجر آثار قدمين من جديد .

٢ ـ اللهم اجز ابراهيم باشا خير الجزاء وأفيض عليه بالمزيد من النعم والجزاء الاوفى . [٢]

النص الثالث :

هذا النص بلوحة رخامية تعلو المدخل الخارجى بالسور الجنوبى الشرقى المحيط بالجامع ، وهو يتكون من سطرين باللغة التركية نصهما : ـ

١ ـ وضع اولندى ساقية سلطان محمد نامنه . بر سبيل داخى يايلدى ساقية نك يا ننه . نوش ايدوب آب صفا بخشندن تشنه لر .

٢ ـ ايسلونلر جوق دعا اول بادشاهك شاننه . جون تمامه ايريحك هاتف يدى تاريخنى . برثواب اولدى روا سلطان محمد ادنه سنة ١٠٧٧ هـ .

## ترجمة النص :

١ ـ حفر ساقية وضعت باسم السلطان محمد . وقد أنشأ سبيل بجانب الساقية عندما يشرب الانسان الماء الصافى .

---

(١) هذه الترجمة منشورة فى رسالة الباحث "مصطفى بركات" وهى بعنوان دراسة للخط والألقاب والوظائف من خلال النصوص التأسيسية الباقية للعمائر العثمانية بمدينة القاهرة ، ماجستير مخطوط ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ص٤٨ .

(٢) هذه ترجمة الاستاذ سيد حنفى الباحث بمركز تسجيل الآثار الاسلامية .



obeikandl.com

٢ ـ يدعو بالمغفرة كثيرا للباشاه وقال الهاتف فى تاريخ الانتهاء هذا العمل المقدس رائع المجد للسلطان محمد سنة ١٠٧٧ هـ . (١)

## ملحـــــــــوظات :

تعرض الجامع لترميم شامل تم بعد سنة ١٩١٦م وهى السنة التى تحمل تاريخ التخطيط القديم للجامع ، فهناك بعض الاختلافات بين ماهو قائم حاليا وما كان قديما منها : ـ

١ ـ يتضح فى الرسم القديم عدم انتظام وضع الأعمدة الأربعة وعقودها بما يتفق مع الوضع الطبيعى لها إذ أن بها بالرسم القديم انحراف .

٢ ـ دكة المبلغ بالرسم القديم تختلف عن الدكة الموجودة حاليا ، فالقديمة أكبر وغير موقع بالرسم القديم العمود القائمة عليه .

٣ ـ فتح ثلاثة شبابيك فقط فى جدار القبلة فى الرسم القديم وبالوضع الحالى أربعة .

٤ ـ الجانب الشمالى الغربى وقع فى الرسم القديم ثلاث دخلات بينما مفتوح به الآن باب وأربعة شبابيك .

٥ ـ الجانب الجنوبى الغربى لايوجد بالرسم القديم إلا شباك واحد بين القبة والجامع بينما فتح حاليا أربعة شبابيك .

٦ ـ الجانب الشمالى الشرقى فتح بالرسم القديم باب للدخول للجامع بينما هو يمثل شباكا حاليا .

٧ ـ اختلاف مكان دورات المياه بين القديم والجديد .

٨ ـ لا وجود الآن للملاحق القديمة للجامع ، وكذلك تم تغيير بعض فتحات الاسوار القديمة .

## التنزه بالرباط فى العصرين المملوكى والعثمانى :

كان لموضع الرباط على شاطىء النيل ولقربة من مدينة الفسطاط وجوارة لساحلها وما حواه الرباط من آثار نسبوها للرسول صلى الله عليه وسلم تأثير كبير فى اتخاذه متنزها عظيما طوال العصرين المملوكى والعثمانى ، بالاضافة لكونه استراحة ومحطة نزول للمسافرين والقادمين للصعيد . (٢)

وقد جمع الرباط المتنزهين بكافة طوائفهم ومكانتهم الاجتماعية فارتاده السلاطين والخلفاء والعامة وأهل العلم والدين و الأدب ، وكان الرباط فى أيام زيادة النيل يمثل موقعاً فريداً وكانت أيام الفيضان

---

(١) ترجمة الاستاذ سيد حنفى .

(٢) ابن بطوطة ، الرحلة ص٣٧ .

بمثابة أيـام الاعياد والمواسم الجليلة [1] . و قال "المقريزى" فى ذلك . . وأدركنـا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولـسكانه عدة منافع ، يتردد عليه أيام كان ماء النيل تحته دائما ، فلما انحسر الماء عن تجاهه وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد الناس اليه وفيه الى اليوم بقية . . " [2]

ولكن تلك المحن التى تعرضت لها القاهرة ايام المقريزى قد زال أثرها بعد ذلك وعاد الرباط ملتقى المتنزهين والمتفرجين بقية العصر المملوكى .

وفى العصر الـعثمانى استمر الرباط مـتنزها كبيرا نظرا لمـا تميز به هذا العصر من انتـشار للدروشة وازدياد التبرك بالأولياء والمقدسات .

وقد زار المسجد الرحالة "النابلسى" بصحبة الشـيخ ابن العابدين البكرى وأثنى على المسجد وذكر القصر المجاور له فانفعل البكرى بما رآه وانشد فيه أشعارا عديدة . [3]

## ماقيل فى الرباط :

انفعل الشعراء والأدبـاء برباط الآثار وما حواه من آثار فذكروا ذلك فى أشـعارهم ونثرهم ، من ذلك قول الأديب صلاح الدين الصفدى :

أكـرم بـآثـار الـنـبـى مـحـمـد ... مـن زاره اسـتـوفـى الـسـرور مـزاره

يـاعـين دونـك فـانـظـرى وتمـتـعـى ... إن لـم تـريـه فـهـذه اثـاره [4]

واقتضى به جلال الدين بن خطيب داريا الدمشقى فقال : ـ

يـاعـين إن بـعـد الحـبـيـب وداره ... ونـأت مـرابـعـة وشـط مـزاره

فـلـقد ظـفـرت مـن الـزمـان بطـائـل ... ان لـم تـريـه فـهـذه اثـاره [5]

---

(١) المقريزى ، السلوك جـ٣ ص٢٠٦ ، ٢٣٤ ، ابن حجـر ، انباء الـغمر جـ٣ ص٢٢١ ، ٢٢٤ ، الـعينى ، عـقد الجمعان (بدون نـاشر) ص٣٨٣ ، ابن تغرى بردى ، النجـوم جـ١١ ص٢٣٢ ، جـ١٤ ص٩٩ ، ١٠١ ، حوادث الدهور جـ٣ ص٥٤١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص١٣٦ ، ٨١٠ ـ٨١١ ، جـ٥ ص١٩٢ ، النابلسى : الحقيقة والمجاز ص٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، الجبرتى : عجائب الآثار جـ٣ ص٤٩٢ ، ٥٧١ .

(٢) الخطط جـ٢ ص٤٢٩ .

(٣) الحقيقة والمجاز ص٢٣٩ ـ ٢٤١ .

(٤) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٣٠ ، السيوطى ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٢٧٣ .

(٥) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٢٩ ، السيوطى ، نفس المصدر والصفحة .



obeikandl.com

وقال آخر :

يانفس إن لم تذهبى لطيبه ... وترى أنوار الحبيب وداره
ها أنت فى مصر وفيها أثره ... فاسعى إليه وانظرى اثاره [1]

وقال ابو الحرم المدنى :

ياعين كم ستفحين مدامعا ... شوقا لقرب المصطفى وديارة
إن كان صرف الدهر عاقك عنها ... فتمتعى ياعين فى اثاره [2]

وقال النابلسى :

طه الرسول به الفؤاد مولع ... أكرم بمشاه المؤثر فى الحجر
إن فات عينى أن تراه فإنها ... قنعت هناك بما تراه من الأثر [3]

وهناك اشعار عديدة فى هذا الخصوص .

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٥٣ .
(٢) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٣٠ ، النابلسى ، الحقيقة والمجاز ص٢٤٠ .
(٣) الحقيقة والمجاز ص٢٤٠ .

* وقد زار النابلسى هذا المكان بصحبة الشيخ زين العابدين البكرى الذى أرتجل فى هذه المناسبة قوله :

قدم النبى المصطفى جئنا له ... فى يوم ريح فاكتبنا راحه

فرد النابلسى على البديهة :

وامالنا عرف النسيم بطيبه ... فكأنما هو قد سقانا راحه

ثم قال فى وصف ذلك المكان :

قدم النبى بمصر جئنا نحوه ... متبركين بنوره الفياض
تعلو عليه من الجلالة قبة ... أنوارها كالبرق فى الايماض
وعليه أسرار المهابة والبها ... يهدى القلوب لذكر عهد ماض
حصلت به كل السعادة والمنى ... للزايرين وسايس الاغراض
أثر شريف قد بدا فى صخرة ... من مسها يشفى من الامراض



obeikandl.com